رحلة لعالم آخر

اسم الرواية: **رحلة لعالم آخر**

اسم المؤلف: **أحمد بهاء الدين**

تدقيق لغوي: **دعاء فرج**

تصميم الغلاف: **محمد دربالة**

إخراج داخلي: **ساندي شريف إبراهيم**

رقم الإيداع: **٢٠٢١/٢٣٠٧**

الترقيم الدولي: **٩٧٨٩٧٧٨٤٤١٠٨٨**

جميع الحقوق محفوظة للناشر©

أي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

إبهار
للنشر و التوزيع

Email ebharpuplishing@gmail.com

تليفون: ٠١٠٦٠٢٦٧٤٠١

أحمد بهاء الدين

رحلة لعالم آخر

إبحار
للنشر و التوزيع

في عالم آخر ليس بعيدًا عنَّا، تجري أمور لا تخطر على بال أحد، لكنها أمور منظمة ومرتبة بطريقة دقيقة، من شأنها أن تجعل العقل يتوقف، الحقيقة هناك لا وجود لها، والخيال ربما يكون حقيقة، كل شيء هناك غير ما نعرف، وغير مسموح لأحد بالمساس بهذا العالم، وإلا فالجزاء صعب.

أنا أحمد عمران، عالم مصري أُقيم بحي الجمالية بالقاهرة، أعمل الآن بالمركز القومي للطاقة، سأحكي ماحدث معي منذ بضع سنوات، ربما هذه القصة أغرب شيء حدث لشاب في مثل سني، لكن لا أستغراب في هذا العالم.

لقد قررت اقتحام هذا العالم الآخر، رغم أن ذلك لم يكن عن عمد، إلا أنني أصبحت مضطرًا لمجاراة واقعي الجديد.

(١)

سبتمبر ٢٠١١

في إحدى الليالي استيقظت في الثالثة فجرًا على إثر يد بشرية تربت على كتفي وصدري، لم أكن منزعجًا هذه المرة، فأنا على هذا الحال منذ وفاة أمل، لكن كان كل قلقي أن يصبح هذا وهم وخيال، أعلم جيدًا أنها غادرت عالمنا، لكن لايزال لدي بصيص من الأمل أن ألقاها مجددًا، ولا أعلم كيف.

للعلم أنا كنت أسكن بمفردي، رغم أن أمي وأختي يعيشان معي في نفس المنزل، لكن الوحدة كانت شعاري.

قمت كالعادة التي أصبحت تلازمني قرابة الشهرين وأكثر، نظرت لساعة هاتفي وجدتها الثالثة صباحًا، قمت مترجلًا لأشرب بعض قطرات المياه،

وعدت للنوم، ورغم أن النوم أصبح من المستحيلات إلا أنني قاومت إلى أن نمت مجددًا.

في التاسعة صباحًا استيقظت، بعد أن رنَّ منبه هاتفي، لدي بعض الأعمال ويجب الخروج حالًا، ارتديت ملابسي سريعًا، حاولت تناول طعام الإفطار لكن دون جدوى، لا توجد لدي شهية نهائيًا.

انطلقت إلى مقصدي، وعدت للمنزل بعد منتصف الليل، حيث كان الهدوء يعم أرجاء المكان، لكن ورغم تعبي الشديد، إلا أن فرص النوم تتضاءل.

حسنًا، الأفضل أني لم أَنَم، فقد كنت في موعد مع السعادة، لكنها سعادتي أنا آنذاك، بالتأكيد ما سأحكيه هو درب من دروب الجنون، لكن من أجمل ماحدث لشخص بائس مثلي.

يبقى أن أخبركم ماحدث معي يومها.

بعدما دخلت المنزل، وارتديت ملابس النوم، وتأكدت من استحالة النوم رغم ما بي من إرهاق، تناولت كتاب كانت قد أهدتني إياه أمل، سرحت بخيالي قليلًا وتذكرت أمل يوم لقائنا، وتذكرت يوم ما أهدتني هذا الكتاب ورشَّته بعطرها الخاص، مازالت رائحة العطر في الكتاب.

أحسُّ حقًا بالعطر يلامس يدي، أصبحت أحسُّ أنفاس أمل، أغمضت عيني ثم استنشقت الهواء وحمدت ربي أنه تبقى لي من ذكراها أشياء أستطيع لمسها، وعندما فتحت عيني وجدت أمل تحدق بي، بالطبع لم تكن المرة الأولى التي أراها فيها بعد وفاتها، فلم يغِب عني طيفها أصلًا.

لكن هذه المرة لم يكن طيفًا، وجدت أمل تنظر إليّ مبتسمة كعادتها ثم نطقت، نعم لقد تحدثت إليَّ، لم يكن خيالًا.

قالت كيف حالك من بعدي؟ لم أرد بالطبع.

ظننت نفسي أتخيل، تسمَّرت قدماي، حركت رأسي يمينًا ويسارًا لعلي أفيق، تذكرت أني لم أتناول المهدئ خاصتي، حاولت أن آتي به.

قالت وهي تبتسم: لا تحتاج لمهدئات، أنت بخير، ثم أكملت حديثها عندما رأت علامات الدهشة تكسو وجهي قائلة: أنا فعلًا حقيقة.

لم أتركك للحظة يا أحمد كنت بجوارك كل ليلة، كنت أحتضنك حتى تستطيع النوم، حزنت لحزنك كثيرًا، لكني لم أصبر على رؤيتك في هذه الحالة، لن أفعل كما يفعل باقي الأموات، يتركون أحباءهم ويذهبون، سأكون بجانبك ياحبيبي.

كانت هذه الكلمات كفيلة أن أصرع في الحال ولمَ لا؟! فأنا تكلمني متوفَّاة.

لكنها ولعلمها الشديد بشخصيتي قامت باحتضاني وهدَّأت من روعي، وبالفعل بدأت أتدارك الموقف وأستوعب ما أنا فيه.

بدأ الاطمئنان يتسرب إليّ شيئًا فشيئًا، لكن قبل أن أبادر بأي سؤال، نظرت إلي بابتسامتها الرائعة وقالت: أعلم أن لديك العديد من الأسئلة، لكن دعك مني الآن، رغم أني معك باستمرار، إلا أنني أريد أن أعرف حالك؟

ثم قالت حزينة: لم أكن أعلم أنك تحبني لهذه الدرجة، وأنك سوف تتألم مثل هذا الألم، ولهذا قررت أن أظهر لك وأحادثك.

قلت لها: أنا بخير، طالما تكحلت عيناي برؤياك، لكني أريدك، خذيني معك، أعلم أن الأموات لن يعودوا للحياة مرة أخرى، لهذا خذيني حيث أنتِ موجودة.

نظرت إليّ سعيدة: مازال لسانك يقطر شهدًا، كم أفتقدت حديثك العذب، لكن اصبر لكل شيء أوان، الآن سآخذك في حضني لتنام وترتاح من عناء اليوم، وغدًا يومك مشغول، وفي المساء ستجدني بانتظارك.

كنت متعب فعلًا ومن هول المفاجأة لم أجد بُدًا من النوم الآن، وطالما بين أحضان أمل، لمَ لا.

(٢)

هل كان حلمًا؟

أغمضت جفوني وأنا بين أحضانها، ولم أحسّ بأي شيء إلا حينما أيقظتني أمي في الحادية عشرة صباحًا، مازلت غير مستوعب ما حدث أمس، ولم أستطع أن أُميز إذا كان ما حدث أمس حقيقة أم حلم، كنت مضطرًا للنزول سريعًا، فلدي أشياء مهمة لابد لي من فعلها، وفي المساء سيتضح كل شيء.

أنهيت أعمالي وفي العاشرة مساءً كنت في المنزل، دخلت غرفتي وأغلقت الباب عليَّ، وانتظرت قدوم أمل، مرَّ الوقت بطيئًا جدًا، أنظر للساعة كل وقت ولم تأتِ، شربت فنجان من القهوة يليه فنجان، حتى تقرحت معدتي، لكنها لم تظهر، أمسكت كتابها لعلَّها تأتي كما أمس، ناديتها أين أنتِ يا أمل؟ أمل تعالِ؟

لم تجِب، لكني من أجبت نفسي، لقد كان حلمًا أيها الغبي، الموتى لا يرجعون.

تبًا لتلك الأحلام تقلب الأحزان وتؤجج المشاعر دون جدوى، نمت من فرط إرهاقي والحزن يخيم عليَّ، ورأيتها في منامي ألف مرة.

وفي وسط الليل استيقظت على إثر يد تلمس شعري برفق، لم أفتح عيناي بعد، لكن انتظرت أن يتحدث إليّ أحد فلم أجد شيئًا.

حاولت النوم مجددًا، وفي الصباح كان وجهي شاحب يبدو عليه الإرهاق، وكالعادة رفضت تناول إفطاري، ونزلت الى الشارع هائمًا على وجهي.

لا أدري ماذا أفعل، حالتي تزداد سوءًا منذ وفاتها، والمهدئات لم تعد تُجدي، ذهبت لرجل دين وسألته عمَّا حدث معي، نصحني بعدم السهر، وقال لي: استعذ بالله يابني من الشيطان، وعليك بالمداومة على الصلوات وتلاوة القرآن باستمرار.

لم يفسر لي ماحدث معي، ولم يزد عن نصائحه كلمة واحدة، وكأنه سمع هذه الشكوى كثيرًا.

عدت للمنزل بخفيّ حنين، لم أجد تفسيرًا لما حدث ولا جوابًا عن سؤالي، لكني حاولت تصفح الإنترنت والبحث عن هذه الحالة، وكانت الإجابات إما عبارة عن سرد أساطير وقصص خيالية أو دعاية لعيادات نفسية.

أحسست بالتعب الشديد، ومن فرط حزني قررت النوم، لكن حدث ما كان يحدث كل ليلة قبل ظهور أمل، أحسست بيد بشرية تربت عليّ برفق، فتحت عينيَّ سريعًا وأنا أنادي أمل... أمل، أين أنتِ؟

يبدو أن صوتي كان مرتفعًا جدًا، لدرجة أني وجدت أمي وأختي بجواري في الغرفة، أضاءا نور الغرفة، وضمتني أمي لصدرها وقالت: يا بني بجوار ربها، يا بني لقد ماتت أمل.

كل هذا حدث في ثوانٍ قليلةٍ، صَممتُ في مواجهة أمي، وأدرت وجهي للجهة الأخرى من سريري واصطنعت النوم، وأنا مشغول وحائر، هل هذه تهيؤات أم إنها أمل فعلًا ولم تستطع الظهور أمامهم؟

قلت في نفسي:

آآآه يا أمل لقد حزنت عليكِ مرتين، مرة عند وفاتك ومرة عند فقدانك مجددًا، آآآه يا أمل لست أعلم هل وجدتك حقًا أم أنه قد أصابني الجنون؟ آآآه يا أمل ليتني أموت كي أرتاح من هذا العناء.

"أمل" كانت صديقتي وحبيبتي، عرفتها منذ سنوات قليلة، لكن حياتي لم تبدأ إلا بعدما قابلتها، كنت أعتبرها نصفي الآخر في هذه الحياة، رغم أننا لم نتزوج أو نرتبط رسميًا، إلا أنها كانت كل شيء بالنسبة لي، كانت الحنان والأمل.

لكن في يوم مشئوم رن هاتفي لأستقبل أصعب خبر في حياتي، لقد فقدت أمل للأبد، فقدت ابنة وحبيبة، فقدت صديقة وسند، لقد ماتت أمل –يقال

إنه في حادث غير مقصود– لكن موت أمل كان بمثابة حكم إعدام لي، موت ولكن بالبطيء.

نمت لا أدري كم كانت الساعة وقتها، واستيقظت في الغد، خرجت من المنزل، إلى أين لا أدري، وأنا أتحدث لنفسي ما هذا العذاب الذي أنا به؟ لولا حرَّم الله الانتحار لفعلت.

ترجلت كثيرًا حتى تعبت قدماي، لكن قدماي تسمَّرت أمام فتاة تشبه أمل حقًا، قلت في نفسي هل هذا حقيقي أم إنني في حلم؟ قررت الذهاب خلفها، لم أفعل مثل ذلك من قبل، لكن للضرورة أحكام، ذهبت خلفها، دخلت مسجد فقررت الدخول، كان وقت صلاة العصر.

الحقيقة أحسست بحرج شديد؛ لأني لم أدخل المسجد إلا من أجلها، صليت العصر مع الجماعة وسألت ربي الهداية، بالفعل أحسست براحة في صدري، خرجت وأنا على يقين أني لن أجدها وقد كان.

(٣)

ذكريات تأبى النسيان

بعدما خرجت من المسجد ترجلت كثيرًا، وجدت نفسي بجوار حديقة كنَّا نجلس فيها معًا، تذكرت أول يوم قابلت فيه أمل، عندما كانت هائمة على وجهها كالمجنونة تبحث عن كتاب فقدته داخل الحديقة، يومها سألتني إن كنت وجدت هذا الكتاب، وعندما أخبرتها أنني لم أجده طلبت مني أن أبحث معها عنه، انتهى اليوم ونحن نبحث ولكن لم تجد كتابها، لكنها كما قالت لي: وجدت صديق عزيز.

يومها سألتني عن سبب وجودي بالحديقة بمفردي، أخبرتها أنني أفعل نفس الشيء منذ أن فقدت وظيفتي، قالت لي وماذا كنت تعمل؟ أخبرتها

فاعتَلى وجهها ابتسامة، عندما سألتها عن سببها قالت إنها تعمل بنفس الوظيفة ولكن بمكان آخر، ثم قالت ممازحة: لكني لم أفقدها بعد.

ابتسمت لها وهممت بالانصراف، قالت أعطني رقم هاتفك ربما أجد لك وظيفة معي، فعلت ثم ذهبت.

تعددت لقاءاتنا معًا، كنَّا نتقابل في نفس الحديقة أحكي لها عني كثيرًا وتجلس مستمعة وهي مستمتعة ومبتسمة.

بعد فترة أصبحت أمل صديقتي الوحيدة، هي من تؤنس وحدتي وتحتوي غضبي، وأكثر ما كان يميزها أنها كانت تشاركني اهتماماتي بل وتخطط لي كل شئون حياتي.

كم كانت تمتلك من الذكاء! تعلم متى تتكلم! ومتى تصمت! لم أعلم كيف عرفت أنواع الطعام الذي أحبه؟ لتأتيني به من وقت لآخر، بل وألوان ثيابي المفضلة لتفاجئني بالهدايا كل فترة.

باختصار ظهرت أمل في حياتي في الوقت المناسب، فقد كنت على وشك الهلاك حقًا، كنت محتاج إلى الأمل.

كنت أعتبرها هدية من القدر بعد شقاء دام كثيرًا، كانت بمثابة الغيث بعدما أجدب كل شيء.

رغم أن فكرة الزواج لم تكن ضمن حساباتي، إلا أنني لم أتمنَ غيرها زوجة، ولم أقل كلمة أحبك لامرأة قط سواها، حتى أمي لم تسمعها مني.

لم تكن تلك الحديقة وحسب لي ذكريات بها مع أمل، فقد كانت كل شوارع المحروسة شاهدة على هذه الإنسان التي بسببها دبَّت في الروح من جديد.

أمل لم تجعلني يومًا أحمل عنها أي هم، بل كانت هي من تحمل همي وترتب شئوني، حقًا لقد كان لها الفضل أن أستعيد ثقتي بنفسي وبقدراتي، وكذلك أن أفكر بطريقة مختلفة في مستقبلي، أمل لم تكن تتكلم كثيرًا؛ لأني كنت من يتكلم ويثرثر وهذا خلاف عادتي، لكن مع أمل وحسب كانت لي عادات مختلفة.

لكن كل شيء تغير برحيلها، وعادت الحياة بالسواد الذي أعرفه بل أشد، وكأن مثلي خلق ليشقى.

الآن عليَّ أن أعود لمنزلي فقد تأخر الوقت.

(٤)

حقًا لم يكن مجرد حلم

قررت أن أنسى الأمر، وأن أعود لترتيب أوراقي، لدي سفر كي أستكمل دراستي، في الحقيقة هذه كانت وصية أمل لي، كذلك لدي بعض الالتزامات المادية لابد أن تكون في حساباتي، سأفعل مثلما يقول علماء النفس، سأتجاهل الأمر وأخرج من هذا النطاق الضيق، لكن الأمر لم يتجاهلني.

بعدما أنهيت ما أفعله وقررت النوم مبكرًا كما نصحتني أمي؛ فوجئت بها تدخل علي، قائلة: هل تأخرت عليك؟

أغمضت عيناي ثم فتحتهما، من؟ أمل.

قالت: ومن تكون غيري.

قلت لنفسي لا، إنه هراء، ليست حقيقة، الأموات لا يعودون.

قالت ضاحكة: ومن قال إني عدت، أنا أصلًا لم أذهب، أنا بجوارك.

آآآه من لوعة الحب، حتى لو كانت خيال فقد أحببت الخيال لأنها فيه، حتى لو كانت تهيؤات ومرض نفسي، مرحبًا بالمرض لأجل أمل.

رددت عليها وأنا لم أتأكد بعد إذا كانت حقيقة أم أني أتحدث لنفسي.

إذن أين كنت؟ ولماذا تركتني كل هذا الوقت؟ وهل أنتِ من كنت في الشارع ودخلتِ المسجد؟

اقتربت مني ووضعت يدها على فمي وقالت: ألم تتعب من الأسئلة؟ هل هذا وقت للسؤال؟ قلت لها ومتى هو الوقت إذن؟

قالت: الآن هو أن يلتقي الحبيب بمن أحب، أن نشبع من نور بعضنا البعض، قلت متعجبًا: أمل، منذ متى وأنت بهذه الرومانسية، ليست كلماتك حبيبتي.

ابتسمت وقالت: هل لي أن أضمك لصدري؟ حركت رأسي موافقًا.

احتوتني بين ذراعيها وأحسست أنني في عالم آخر جميل، وودت أن أبقى باقي حياتي بين أحضانها.

ثم قالت لي: هيا للنوم، أنت محتاج للراحة، ولديك أمور لابد أن تنجز.

يجب أن تهتم بشئونك.

الآن من تتحدث هي أمل التي أعرفها، تلك الشخصية الجادة المنظمة التي تهتم بشئوني وكأنها وصية عليّ.

قلت لها مقاطعًا: لا لن أتركك.

قالت: أحمد، كف عن أفعال الأطفال هذه، لديك أشياء مهمة في الصباح.

قلت لها لكن ستذهبين ولن أراكِ، قالت اطمئن سآتي إليك، قلت متى؟

قالت: كلَّما استطعت ذلك، وكف عن أسئلتك هذه أيها المحقق ثم ابتسمت لي واختفت، وكأنني كنت في حلم.

قررت ألا أغضب، وأن أتعامل مع الأمر بمنطقية وعقل، لن أبحث عنها ولن أوقف حياتي، إن أحبَّت أن تأتي فمرحبًا بها، وإن غابت فهذا قدري، وإن كان مرض، فهو أجمل مرض.

نمت مسرورًا وقانع بما حدث لي، وأقنعت نفسي بما توصلت له.

في الحقيقة ورغم أن أمل كانت بالنسبة لي كل شيء إلا أنني لم أعرف عنها الكثير، فقد كنت أنانيًا معها، أتحدث أنا، وهي تنصت، أشاركها مشكلاتي وتعبي، لا أتذكر أنها يومًا ذكرت لي مشكلة شخصية، أو حتى مشكلة بالعمل، لم أزُرها في بيتها، ولا أعلم أفراد عائلتها بعكس ما فعلت معي، فقد زارتني بالمنزل مرارًا وتكرارًا وتعرفت إلى أمي وأختي، بل ودخلت غرفتي.

(٥)

زيارة خاطفة للعالم الآخر

مرَّت أيام تزورني أمل بين الحين والآخر نتحدث، ثم نتعانق ثم أخلد للنوم، أراها أحيانًا في الشارع وكثيرًا في منامي، لكن تعودت على وجودها، صرت أستشيرها في كل شيء.

تنظم معي كل شئوني، رغم زيارتها غير المنتظمة، وأصبحت مجددًا جزءًا من حياتي وأكثر، فرحي بذلك اقترن بخوف شديد من فقدانها مجددًا.

جاءتني في اليوم التالي الذي كانت معي فيه على غير عادتها، حزينة بعض الشيء، بالطبع سألتها ما بكِ؟ كررت لي جملتها الدائمة: لا تسأل كثيرًا.

لكنها فاجأتني بطلب غريب لم أتردد لحظة فيه، كان طلبها أن أرافقها في عالمها، قلت مسرعًا: بكل سرور.

قالت: لكن الأمر ليس بهذه السهولة، والأهم ألا تخبر أحدًا بذلك.

قلت لها: أنتِ تعرفين أنني لا صديق لي ولا أحد مقرب غيرك، فمن سأخبر؟

قالت: حسنًا هيا ننطلق سأريك عالمنا، الآن أغمض عينيك ولا تفتحهما إلا عندما أخبرك.

أحسست بهواء شديد، ثم استنشقت رائحة غريبة لم أشمها من قبل، ثم أتى هواء منعش به رذاذ بسيط.

قالت الآن افتح عينيك، أصابني ذهول ما بعده ذهول عندما فتحت عيني.

كانت مخيلتي أن أجد نفسي في الجنة، أو في أرض واسعة خضراء بها حدائق وبساتين، ربما جزيرة نائية في وسط المحيط، أو كهوف معقدة التفاصيل، شيئًا من ذلك القبيل.

لكن أن أجد نفسي في عالم متحضر جدًا وكأنني سافرت للمستقبل، لم تكن هذه دهشتي الوحيدة!

كنت في مكان شاسع يغلب عليه اللون الأبيض، حتى ملابس الجميع كانت باللون الأبيض إلا قليلًا منهم.

المكان لا سقف له ولا سماء، لكن لا تستطيع أن تطيل النظر لأعلى.

ولا تستطيع عيني أن ترى آخر هذا المكان.

كانت هناك رائحة غريبة جدًا منتشرة بالمكان لم أشمها من قبل، لم تكن كريهة، كذلك لم تكن زكية بمقاييس الروائح التي أعرفها، قلت في نفسي لعل رائحة الجنة مختلفة.

لكن لا أخفيكم سرًا كنت مضطرب جدًا وخائف وضربات قلبي تعلو لكنني اصطنعت غير ذلك.

كان هناك نظام شديد يحترمه الجميع، ينظم كل شيء في هذا المكان، وذلك دون أن يقوم أحد بإصدار تعليمات أو توجيهات، الكل يتحرك هنا كأنه يعلم أين يذهب؟ لا أحد يلتفت للوراء حتى، المكان نظيف جدًا وكأنه لوحة مرسومة.

ترجلت مع أمل في طرقات كأنها شوارع منظمة جدًا، ذهبنا لمكان يشبه المطاعم أو "الكافيهات" عندنا، لكن لا طعام فيه ولا شراب، مرَّ وقت بسيط كانت أمل تنظر إليّ مبتسمة، وتقدر ما بي من ذهول وأنا لدي آلاف من الأسئلة لكن لا أستطيع النطق، وقتها جاءت إحدى الفتيات سلمت على أمل ثم نظرت إلي وقالت: كيف حالك يا أحمد؟ رددت: أهلًا.

استغربت بشدة لما حدث، من هذه الفتاة؟! وكيف تعرف اسمي؟ لماذا تتحدث معي والجميع هنا لا يتحدثون لمن لا يعرفونه، لكن أمل بدت متوترة بعض الشيء ثم استأذنت في الانصراف، وقالت: دقائق وسأعود.

ظللت صامتًا وكنت مستغربًا، من هذه الفتاة، عرفتني بنفسها قائلة: اسمي حلا، كنت خمسة وعشرين عامًا حين جئت لهذا المكان.

ثم استطردت: أعلمُ مايدور في رأسك، فقد كنت أدرس الطب النفسي، وكذلك تعلمت هنا الكثير، لذلك أستطيع قراءة أفكارك وابتسمت قائلة: ولدي كل الإجابات التي تريدها لكن أولًا أخبرني هل أنت عاقل؟ بالطبع استغربت من طريقة كلامها، لكنها قاطعت دهشتي قائلة:

أعلم ماذا تكون أمل بالنسبة لك، لكن هل فكرت حقًا فيما تفعله في نفسك؟

رددت مستغربًا: ماذا أفعل؟ ردت بتهكم: ألا تعرف؟ أنت ترافق ميتة، أنت على قيد الحياة يا أحمد، لابد ألا تكون في هذا المكان، أمل من فرط حبها، وتعلقها بك تناست قواعد هذا الكون، أنت تضيع نفسك.

لا تأتِ إلى هنا مرة أخرى، ودعك من أمل نهائيًا، فكر في مستقبلك واترك أمل لحياتها الجديدة.

قبل أن أرد عليها، فكرت قليلًا لماذا تقول هذا الكلام؟ ومن تكون هذه الفتاة؟ وقبل أن أسألها جاءت أمل واضطررنا لقطع حديثنا، نظرت لصديقتها وقالت الآن سنذهب.

قبل أن أتكلم، قالت أمل: أنا أعلم أن لديك الكثير من الأسئلة، لكن لا وقت الآن، الآن سنذهب، وسنكمل حديثنا عندما نلتقي، أريد أن أعرف رأيك في عالمنا هذا، الآن أغمض عينك مجددًا.

أغمضت عيني ولم أحس بشيء سوى في الصباح، وأمي توقظني قائلة: لقد رن هاتفك كثيرًا هل لديك مواعيد اليوم؟

التفت يمينًا ويسارًا، ثم قلت في نفسي أين أنا؟ ماذا حدث؟ هل كان حلمًا أم حقيقة؟

غابت عني أمل لأيام وأنا منتظر قدومها بفارغ الصبر كي أفهم ماحدث، وما هذا المكان الغريب الذي كنا به، ومن تكون حلا؟ الذي يبدو أنها تعرفني جيدًا، في الليل أشعر بيد تربت عليَّ وكأنها تطمئنِّي لكن لا أرى شيئًا.

حتى جاءتني في إحدى الليالي مبتسمة كعادتها قالت: مارأيك في عالمنا؟

قلت غاضبًا: لن أجيب، قالت: دعك من أفعال الأطفال، قلت لا حقًا أنا غاضب منكِ، أين كنتِ؟ ولماذا تتركيني وأنا على وشك الجنون لماذا يا أمل؟

قالت حزينة:

ليس بمقدرتي المجيء كل وقت، قلت: ومن يمنعك؟ قالت: لا أستطيع أن أوضح لك الآن.

لكن الآن أخبرني ما رأيك في عالمنا إذن؟

قلت: وما يفيد رأيي أنت لا تعيرني أي اهتمام.

قالت: وبمن أهتم إن لم أهتم بك، وهل لي غيرك ياحبيبي؟ أخجلتني الفتاة بكلماتها، احتوت غضبي، وجعلتني أتراجع عن قراري بعدم الحديث معها.

قلت لها: عالمكم جميل جدًا، متحضر للغاية، ما رأيته جعلني مطمئن عليكِ في ذلك المكان، لكن هناك رائحة غريبة تملأ المكان ماذا تكون؟

ابتسمت وقالت: وهل رائحة العالم الآخر ستكون مثل الدنيا؟ اكمل ياحبيبي، قلت لها: ولماذا لا يتحدث أحد لمن لا يعرف؟ ولماذا يحترم الجميع النظام دون أدنى خطأ؟ أجابت: لأن الجميع هنا يعرف ماذا يفعل.

قلت لها: لكن من تكون هذه الفتاة التي تعرف اسمي؟!

ابتسمت وقالت حبيبي: هل أوحشك حضني أم أنك تفضل الأسئلة فحسب؟

مجددًا غلبتني الفتاة، فقد كنت في أشد الحاجة أن أبقى بين ذراعيها حتى أنام.

لكن ما إن طلع الصباح ووجدت نفسي مجددًا بمفردي، أحسست بوحشة كبيرة ووحدة لا مثيل لها، لقد أصبحت أمل إدمان لكن وأي إدمان! إنه إدمان لنسيم الحياة، إدمان لشروق الشمس.

لكنها غابت أكثر وطال غيابها، واشتدَّ تعبي، فقد تعودت عليها، ولم أستطع التحمل أكثر من ذلك، لن أستطيع خداع نفسي مجددًا وأفترض تفسيرات منطقية مثالية.

أنا الآن أريدها فحسب، أريدها بجواري مهما حدث، قررت الذهاب لطبيب نفسي جديد وأحكي له باستفاضة، بالطبع كان تفسيره الطبي أن هذه هلاوس سمعية وبصرية، ووصف لي كثير من الأدوية وطلب مني المرور عليه بعد أسبوع.

(٦)

زائر جديد

في هذه الليلة زارتني أمل، قبل أن أنطق وأعبر عن أشواقي، قالت غاضبة: ألم أخبرك أن لايعرف أحد ما حدث؟ قلت طال غيابك وكنت على وشك الجنون، أنا جننت بالفعل.

لم تخبريني أية تفسيرات لما يحدث، قالت صديقتك كلام غريب مازلت لا أفهم ماذا تقصد! لكن لا تقلقي لقد وصف لي الطبيب علاج للجنون.

لم أفكر حينها كيف عرفت أني ذهبت للطبيب! وكيف تعرف؟ هل تحدثت مع أحد من عدمه؟!

هنا زارنا شخص آخر، قد أصابتني الدهشة لوجودها، لكن دهشة أمل كانت أكبر، قالت لها منفعلة: لماذا أنتِ هنا؟

ردت حلا: جئت لأنقذ هذا المسكين، قلت مخاطبًا الاثنين: ماذا يحدث؟ ثم وجهت كلامي لأمل: ماذا يعني كلام صديقتك؟

ردت أمل أولًا: هي ليست صديقتي، ثانيًا: إما أن تصغى لها أو أن تسمعني أنا.

قالت حلا مقاطعة: حبيبتك أنانية، تعلم إنه لا سبيل لكما بالعيش معًا في الدنيا، لكنها تصر على أن تتعلق بها، تعلم إنك كنت على وشك التعافي، لكنها ظهرت في حياتك لترتبك مجددًا، ثم أمسكت الروشتة التي بها علاجي نظرت إليها، وقالت: حقًا ما وصف له هذا الطبيب أنت تعاني من هلاوس، أنت على وشك الجنون.

ثم نظرت إلى أمل قائلة: أم أنكِ تريدين أن تدفعينه للانتحار ليلحق بكِ، يا لكِ من أنانية.

فاجئتني أمل بردها: إذا كنت تعلمين كل هذا فلماذا كل يوم أجدك بجواره تربتين على كتفه؟

ارتبكت حلا وقالت: لأنه يشبه أخي، وأخشى أن يلحق به ما حدث لأخي، قالت لها بتهكم النساء: يشبه أخاكِ أم أنه يعجبك وتريدنه لكِ.

ثم نظرت أمل إليّ قائلة: هل ستصدق هذه المجنونة؟ أنت تعلم أطباء النفس كلهم مجانين، هل تشك في حبي لك؟

ألم تقل سابقًا إنك تريد أن تأتي معي للأبد ولا تحب هذه الحياة، هيا تعال معي يا أحمد، قد رأيت عالمنا كم هو جميل ومنظم! وأنت قلت بنفسك أنك لا تخاف عليّ في مكان هكذا.

قاطعتها حلا: أيتها اللعينة، تريدين موته لأجلك وأنانيتك، أنتِ لا تحبينه، أنتي فقط لا تريدين أن يعرف امرأة غيرك.

أشارت إليّ حلا محذرة: أعلم أن موافقتك على عرضها معناه أنك ستموت ولن تعود لهذه الحياة أبدًا، الأمر أصبح جدي، ليست زيارة كما سبق.

قاطعتها أمل قائلة: أحمد يحبني ولا يريد أن يبقى في هذه الدنيا من غيري، وحتمًا سيختار الموت طالما معي.

كانت أمل تتحدث وهي متوترة على خلاف طبعها، وكأنها تخشى من شيءٍ ما.

(٧)

خوف وإعادة تفكير

حقًا لقد أصابني الرعب، أول مرة أخاف من أمل، لا أريد أن أموت الآن، لا يوجد عاقل يُقبِل على الموت بسهولة، لست جاهزًا للموت حتى وإن كنت أريده.

تركت غرفتي مهرولًا وكأني أهرب منهم، دخلت على أمي غرفتها، كانت تقرأ القرآن وتجلس في سريرها، قالت: ماذا بك يابُني؟

قلت: لا شيء لكن أريد أن أنام بجوارك الليلة، وأن تقرأي لي القرآن، ابتسمت مرحبة.

نمت كالطفل وأنا أرتجف، وفي الصباح هرولت للمسجد بحثًا عن أي عالم دين، حتى وجدت أحدهم قصصت عليه قصتي كاملة، قال لي: استعذ بالله من الشيطان، والتزم بالصلاة ولا تبتعد عن كتاب الله أبدًا.

بدأت بتنفيذ ما نصحني به، وكذلك بدأت في الاستعداد للسفر، لم أعد أتحمل البقاء في ظل هذه الأجواء الملبدة بكل ذكرى صعبة، أنا على وشك الجنون ولا أجد تفسيرًا لما يحدث معي، حسنًا سأترك هذا البلد وأرحل.

راودتني الكثير من الأفكار، هل تخليت عن أمل؟ هل أنا فعلًا لا أحبها؟ هل كنت مخطئًا عندما هربت منها في تلك الليلة؟

أليست هذه أمل حب عمري وحلم حياتي؟

لم أعد قادرًا على التفكير، لقد تعبت من هذه الأفكار، سأرحل من هنا، وأكمل دراستي في أجواء غير هذه، أمل أصلًا هي من شجعتني على إكمال دراستي بالخارج، واختارت لي أيضًا اسم الجامعة.

لكن ماذا لو جاءتني مجددًا؟ وماذا لو أخذتني عنوة إلى عالمها؟ هل سأستطيع أن أحب غيرها؟

يكاد عقلي ينفجر من التفكير، لم أعد أفهم شيئًا.

هل هي هلاوس كما قال الطبيب أم أن ما أراه حقيقي؟

لقد رأيت من هذه الدنيا أشياء كثيرة مثيرة للاشمئزاز، لكن ما يحدث لي كثير جدًا.

ماذا يحدث لي؟ أهذا أحمد عمران الطالب المتميز الذي طالما كان يحلم أولياء الأمور أن يكون أبناؤهم مثله، هل هذا أحمد عمران الذي كان يشيد به أساتذته كثيرًا؟ متوقعين أنه سيكون عالمًا يخدم بلده؟!

الآن أنا على وشك الجنون، لم أصبح شخص مميز، لقد صرت مشوه النفس، مضطرب التفكير، ضائع ولا أعلم إلى أين سأذهب؟

(٨)

الأرواح دومًا كاذبة

قررت أن أعود للمسجد، وألتقي برجل الدين، وعندما قصصت عليه التطورات التي حدثت لي، نصحني مجددًا بالالتزام بالصلوات وتلاوة القرآن والذكر باستمرار.

سألته جادًا: لو عادت وطلبت مني أن أذهب معها ماذا أفعل؟

رد ضاحكًا: يابني لا يوجد شيء مثل هذا أبدًا، إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا، لكن فلنفترض جدلًا إذا طلبت؛ قل لها موافق، وانظر فعلها، حتمًا ستذهب ولن تعود لأنها ستدرك أنك كشفت حقيقتها، إن الأرواح دومًا كاذبة، ثم استطرد ضاحكًا: ولو كانت صادقة في ذهابك معها؛ فاذهب ثم ارجع واحكي لي ماذا رأيت!

أخذت بكلام الرجل واطمئن قلبي، وصرت أعيش حياتي بطريقة طبيعية، وأنا أجهز أوراقي وأغراض سفري، وكانت الحياة تسير بطريقة هادئة ومألوفة، لكن في إحدى الليالي قبيل سفري بأيام زارتني أمل مجددًا، وفي عينيها نظرة استعطاف وكررت طلبها أن آتي معها وأترك هذه الحياة، كانت من تتحدث إليّ وكأنها ليست أمل، تلك الشخصية الحازمة التي أعرفها جيدًا، التي تعرف جيدًا ماذا تفعل ولا تعرف طريق الاستعطاف أبدًا،

لكن وقتها تذكرت كلمات رجل الدين وقلت لها: أنا موافق أن آتي معك، بدأ على وجهها علامات الفرح الشديد، وقالت: حقًا؟!

قلت: نعم، هيا نذهب الآن، فصمتت كثيرًا ولم أدري ماذا حدث بعدها، غير أني استيقظت في العاشرة صباحًا، وأنا مكاني في بيتي.

فكرت في كلمات الشيخ قلت حقًا ما قاله، الأرواح كاذبة لو كانت صادقة لأخذتني معها، يبدو أنها تلعب معي، حسنًا لن تأتي مجددًا.

(٩)

أمل التي عرفتها

بغض النظر عن أفعال أمل معي بعد موتها، سواء كان ما أراه حقيقة أم خيال، لكن شخصية أمل التي أثارت إعجابي منذ اليوم الأول الذي رأيتها فيه كانت مختلفة بعض الشيء عن تلك التي أحدثكم عنها الآن.

أمل وبعيدًا عن جمال وجهها، وقوامها الممشوق، وعينيها الزرقاء؛ كانت فتاة جادة، ومثقفة لأبعد حد، ذات رأي ثاقب وفكر مستنير، أهم شيء في حياتها هو النظام، تعرف جيدًا ماذا تفعل وتعلم أيضًا متى تصمت، ومتى تتكلم.

مما أثار إعجابي بتلك الشخصية كان جمال روحها، لكن الأجمل من وجهة نظري هو ذلك العقل الذي تملكه، الذي طالما وصفته بأنه مرصع بالألماس.

أمل للمصادفة كانت تدرس نفس تخصصي، وبالطبع كانت متفوقة فيه، كنَّا نتناقش كثيرًا في مجال تخصصنا، وفي حال اختلافنا في أمرٍ، أو كان هناك ثمة شيء تجهله أجد اتِّصال منها في الصباح الباكر أنها تريد مقابلتي، ثم أجد بيدها كتاب أو بعض ورقات مطبوعة ونستأنف المناقشات، كان الحديث معها دومًا مفيدًا.

حتى في أمور الحب كانت مختلفة، فاجئتني هي بالاعتراف به على عكس أغلب الفتيات، ولم تنتظر مني رد وكأنها تعلم جيدًا ما بداخلي، حتى عندما ألمحت لها ذات مرة أنه ليس بمقدوري الزواج منها الآن نظرًا لظروفي، قالت مبتسمة: وهل طلبت منك شيئًا هذه الأيام؟ كانت تقرأ مابداخلي أكثر مني.

كانت دومًا داعمة لي خصوصًا بعد ماتعرضت للخذلان من الجميع، أخيرًا وجدت من يفهم أبحاثي ويعي ما أقوله، لذلك اقترحت علي السفر لأكمل هذه الأبحاث، وأعزز موقفي بمزيد من الدراسة.

كانت دومًا لها جملة لا تمل من تكرارها: أحمد إنت مكانك ليس هنا، مكانك في دولة تقدر قيمة العلماء أمثالك، سافر يا أحمد وفكر في مستقبلك.

وها أنا أنفذ اقتراح أمل سأترك البلد،

سأترك ذكريات فشلي وتعبي، وسأترك معها ذكريات أمل،

لعلِّي أجد أحمد عمران بعدما فقدته أعوامًا وأعوامًا.

(١٠)

حان موعد السفر

جهزت حقائبي وأغراضي وحددت موعد سفري، وفي يوم السفر خرجت لتوديع أمي وأختي، بعد العناق الطويل أخذتني أمي لغرفتها معاتبة، قالت:

كالعادة يا بني تفعل ما يحلو لك، دون أن تفكر فيمن حولك، عمرك قارب الثلاثين عامًا، وليس لك عملًا ثابتًا، لم تتزوج ولم تبنِ أسرة، أضعت ميراث والدك في الدراسة، حتى زواج أختك لم تفكر يومًا في المساهمة فيه، والآن ستسافر وتتركني وحدي، ولا أعلم إن كنت سأراك ثانية أم لا؟

ثم تابعت قائلة: أختك مازالت صغيرة تركها لنا والدك أمانة، مات مطمئنًا ظنًا منه أن وراءه رجلًا سيرعاها لكنك لم تفعل.

كنت تعيش معنا تحت سقف واحد، لكنك تعيش بمفردك، اخترت دومًا الوحدة رغم أننا لم نقصر بحقك يومًا.

لم تفكر دائمًا سوى في نفسك فحسب، وتحسب أن الحياة ليس موجود بها سواك، اذهب يا أحمد، اذهب حيث ماشئت، لن أمنعك ولا عتاب عليك بعد الآن.

لم أستطع أن أتفوه بكلمة واحدة، ولم أقدر أن أنظر في عينيها، تركت البيت ولأول مرة تنهمر دموعي على أحد غير أمل، لم تتوقف دموعي حتى هبطت الطائرة، لم أكن أفكر سوى أنني أناني، أفعل ما تهواه نفسي ولا أعير أحدًا انتباهي.

توفى والدي وتركهم أمانة لي، وكان يظن إنني سند لهم، وسأخلفه في هذه المسئولية لكني خيبت ظنون الجميع.

لم أفلح في شيء سوى في العالم النظري، لكن لا عمل لي، ولا كونت أسرة، ولا توفقت في شيء سوى في الدراسة، لم تعد عليّ بأي شيء، حقًا لماذا يعيش أمثالي؟ ليت عرض أمل كان حقيقيًا، من لا يعطي لا يستحق أن يعيش.

ليت كلماتها أثرت عليّ وقتها، ليتني لم أسافر ومكثت بجوارها، لكن القدر كان له ترتيبات أخرى.

وصلت إلى وجهتي في السابعة مساءً إلى مدينة سان بطرس برغ في روسيا، حيث مقر الجامعة التي سأدرس فيها، التي اختارتها لي أمل سابقًا.

ذهبت إلى مكان سكني وضعت حقيبتي وبدَّلت ملابسي، آثرت أن آخذ قسطًا من الراحة، سأذهب في الصباح إلى الجامعة، فهنا لايعرفون المواعيد المتأخرة، ولابد أن أكون على قدر المسئولية.

كانت حالتي النفسية سيئة للغاية، سيئة مثل اليوم الذي جاءني فيه خبر موت أمل.

لكن لم يكن في حسباني أن تظهر لي هنا أيضًا، ففي منتصف الليل زارتني أمل قائلة: حمدًا لله على وصولك بالسلامة، وحشتني كثيرًا، لقد كان مجيئها حقًا مفاجأة لي، أكثر من مفاجأة مجيئها أول مرة.

أضاءت المصباح لأتأكد أني أرى بشكل صحيح، ضربت بكفي فوق رأسي لأتأكد أنه ليس حلم.

لكنه لم يكن كذلك، توترت كثيرًا وتذكرت كلام رجل الدين، إذن هي ليست كاذبة، أو أنها ليست من الأرواح، ماذا يحدث إذن؟!

قالت اهدأ: ماذا بك ألست مسرورًا لرؤيتي؟ قلت: ماذا جاء بكِ؟

قالت مبتسمة: جئت لآخذك معي كما اتَّفقنا.

قلت: هل تلعبين معي أم أنك جادة في هذا الأمر؟

قالت: جادة جدًا، لكن أعلم أنك ستموت ولن تعود لهذه الحياة أبدًا.

قلت في نفسي: سأذهب معها، أنا شخص أناني لم يستفد مني أحدًا يومًا ما، ولدي شغف أن أذهب إلى العالم الآخر، وطالما ستظل أمل بجواري لمَ لا؟ هل سأخسر والدتي وأختي وأمل في يوم واحد؟

قلت لها: حسنًا الآن، أنا مستعد.

قالت: فقط أغمض عينيك، وافتح ذراعيك، سأحتضنك وسنكون هناك فورًا.

(١١)

عالم آخر

فعلت وعندما فتحت عيني مجددًا وجدتني في غرفة أنيقة جدًا، أرتدي ملابس مختلفة عمَّا كنت ألبسها، واضح أن الجميع هنا ملابسهم متشابهة حتى أمل.

نظرت إليَّ أمل وهي ممسكة بيدي قائلة: كم أنا سعيدة لأنك معي هنا! لم أكن أعلم أنك تحبني كل هذا الحب، سنعيش هنا أجمل الأوقات وسترى ما لم تتوقع.

قاطعتها: يا أمل إن كنت مت حقًا، أليس هناك حساب؟ أين سؤال الملكين؟ أين هي جثتي؟ ومتى ستدفن؟

قالت: لا عليك من الجثة، مازالت بالغرفة، وعندما يكتشفون أمرك ستدفن، أما الحساب وما ذكرت، فهذا ماكان يقوله لنا علماء الدين لكي

نعيش باستقامة، دون أن نرتكب جرائم في الحياة الدنيا، لكن هذه أمور غير حقيقية، وصدق مارأته عينيك.

أومأت برأسي: حسنًا فهمت، لكن ستحزن أمي كثيرًا، قالت: لاعليك أنت الآن هنا معي، لكن عليك أن تعرف التعليمات.

قلت لها متعجبًا: تعليمات! أي تعليمات تقصدين؟

رددت بحزم: هنا مثل الحياة في الدنيا ولكن أكثر نظامًا وتطورًا، سنأكل ونشرب ونلعب وأيضًا سنمارس هواياتنا ونعمل.

إننا في مكان مثالي لكن عليك ألا تتحدث مع أحد أبدًا غيري، ولا تفكر مطلقًا في الخروج من هنا، فذلك سيعرضك لعقاب شديد.

قاطعتها قائلًا: لكن كيف كنتِ تأتين لي؟

ردت قائلة: لم يكن بالأمر الهين مطلقًا، وقد تعرضت للعقاب أكثر من مرة، وما شفع لي أنك أتيت معي للعالم الآخر.

قلت لها: حسنًا.

لم أكن أدري ما الوقت إذن؟ فنحن في مكان ليس فيه صباح أو مساء.

خرجت برفقتها فإذا به العالم الذي جئته من قبل، قالت أظن إن المكان ليس غريبًا عليك.

كان مكان شاسع كبير جدًا، ليس له سقف مرأي، وليست هذه السماء التي نعرفها، اللون الأبيض أكثر الألوان شيوعًا، الجميع يتحرك بنظام شديد، لا أحد ينظر إلى الآخر، وكأن كل فرد يعيش هنا بمفرده، الجميع

أعمارهم تكاد تكون متقاربة، ويلبسون ثيابًا متشابهة لحد كبير، ومازلت أشم الرائحة الغريبة التي شممتها من قبل، جلست معها في نفس الاستراحة التي جئت إليها من قبل.

مكان ليس فيه طعام أو شراب، هو أشبه بالمطعم لكن دون طعام أو شراب.

نظرت إليّ أمل ممسكة بيدي وقالت: نظير اختيارك لي سيكون لك هنا مفاجئات لا تنتهي وأولها: سأجعلك تكمل دراستك وتجري أبحاثك المجنونة أيها العالم الغريب.

للعلم (أنا كنت أدرس الكيمياء الحيوية في إحدى كليات العلوم المصرية، ورغم تخرجي بامتياز رُفِض تعييني نظرًا لأفكاري المجنونة كما قالوا، وأيضًا رُفِض تبني أبحاثي لكونها غير منطقية، وبعدها فصلتني أغلب الشركات التي عملت بها لأسباب لا أعلمها، لذلك قررت السفر، فهناك من يقدر العلم خارج مصر، ولم أجد داعمًا لي غير أمل، هي من وقفت بجواري وكانت مؤمنة بأفكاري وهي أيضًا صاحبة فكرة السفر لروسيا لاستكمال دراستي).

فعلًا قد كانت مفاجئة لي سارة جدًا، قلت لها متى سنبدأ، قالت: من الغد، سأمر عليك لأصطحبك.

قلت مستنكرًا: ألن نمكث معًا باستمرار، قالت لا تستعجل الأمر، ثم استأذنت للانصراف بعض الوقت، هنا جلست أتفقد وجوه الحاضرين،

أنظر إليهم ولا ينظرون إليَّ، حتى فوجئت بمن تقاطع نظراتي قائلة: مرحبًا بك أيها الرفيق.

كانت حلا، جلست أمامي، وقالت: لقد اخترت أمل إذن لذلك أنت هنا، اعتبرني شقيقتك إذا أردت التحدث إليَّ في أي وقت، سأكون مسرورة بسماعك، لكن لا تخبر أمل بذلك، فهي تغار عليك حد الجنون.

عندما عادت أمل، أعطتني بطاقة تعريف عليها رقم، وقالت: هذه البطاقة ستتعامل بها في كل شيء، رقم مسكنك بنفس هذا الرقم، ستستطيع الأكل والشرب بها دون مقابل، وستذهب للدراسة ومن بعدها للعمل عن طريقها، علقها في رقبتك ولا تخلعها أبدًا.

ثم أشارت إليّ محذرة وقالت: لكن اعلم لا كلام هنا إلا معي.

استغربت الأمر بعض الشيء ثم قلت لها، هل نحن في الجنة أم في النار أم أين نحن؟ ردت غاضبة: قلت لك هذه كانت مسميات علماء الدين، لا جنة ولا نار إذن، لا تصدق إلا ما تراه هنا، عينك هي من ترى الحقيقة.

ذهبت لمسكني، كان منزل صغير أنيق جدًا، به سرير للنوم ودورة مياه فقط.

قلت في نفسي: وهل الموتى يحتاجون دورة المياه؟ ثم جاءت الإجابة وكأن أمل ترد عليَّ، سأصدق ماتراه عيني.

جلست على السرير فقد كنت متعبًا جدًا، ولم أُفِق إلا وأمل توقظني قائلة: قم لديك بعض الأمور المهمة، قلت لها كيف دخلتي إلى هنا؟ قالت

ضاحكة: كنت أدخل إلى غرفتك في حياتك الدنيا، فكيف لا أعرف ونحن في العالم الآخر؟!

لم أستغرب حين ذهبنا إلى مكان أشبه بمطعم كبير، قدمنا هوياتنا فأعطوا لكل شخص علبة بها أكل خاصة به ومختلفة عن غيره، كانت أصنافه غريبة لم أرَها من قبل، ولم أستغرب أو أسأل السؤال المفترض أن أسأله، هل الأموات يأكلون؟!

انتهى الجميع من الطعام وبدأوا في الانصراف كل إلى وجهته دون أن ينظر أحد إلى الآخر.

ذهبت برفقتها لمكان آخر، كان هو المكان الذي سأجري فيه أبحاثي وسأتعلم فيه، كان معمل متطور جدًا جدًا، به إمكانيات لم أرَها من قبل.

قلت لها: من سيعلمني هنا؟

قالت: ستجري أبحاثك وستتحدث إليّ بما تريد معرفته أو تعلمه، وأنا سأتواصل ثم أجيبك، لأنه لا يفترض أن تتحدث مع أحد غيري.

لم يكن الأمر مستغربًا لي، فأغلب الموجودين هنا ثنائيات، لايتحدث منهم أحد إلا مع الآخر فقط، وكل ثنائي يتحدث بلغة مختلفة.

مرَّت الأيام على هذا المنوال، كان أشبه بروتين، الشيء الوحيد الذي كان فيه تغيير، وكان يجعلني أتحمل هذا المكان هو التقدم في أبحاثي، فقد توصلت لنتائج غاية في الأهمية.

لكن قلت في نفسي: وماهي الفائدة، أنا ميت لن تفيد أبحاثي هذه أحد، كنت أود أن يرى أساتذتي وكل من وصفني بالجنون هذا النجاح الذي وصلت إليه، لكنني حقًا سئمت من هذا المكان.

بعدما أنهيت يومي في البحث، قلت لأمل: إنني أصابني السأم، من تكرار الأيام لا جديد فيها، لم أكن أعلم أن حياة الموتى بهذا الملل.

قالت: في المساء سأجعلك ترى شيئًا جديدًا، اصطحبتني لمكان مثل مدينة ألعاب ترفيهية، ومضينا هناك بعض الوقت، لقد كنت محتاج لمثل ذلك، لكن مازلت في حاجة لأشياء أخرى.

أوصلتني أمل إلى منزلي الذي يخلو من كل شيء عدا السرير ودورة المياه، احتضنتها بقوة، ثم قبَّلتني قبلة قوية، فقلت لها: متى سنتزوج يا أمل أم أن الزواج ممنوع هنا؟

أنا في حاجة إليكِ، وأنت تعلمين ماذا أعني؟ إذا كنا نأكل ونشرب مثل الأحياء، فلماذا لا نفعل هذا؟

ابتسمت وقالت: حسنًا ولكن ليس الآن.

(١٢)

رفعة حلا

تركت أمل ثم ذهبت، وفي اليوم التالي عدت من المعمل، أحسست أني لم أعد قادر على المكوث بمفردي، وأنه سيجن جنوني، لا أتحدث هنا إلا مع أمل، خرجت من المنزل وترجلت فوجدت المطعم الذي قابلت فيه حلا.

جلست بمفردي، حاولت التحدث أكثر من مرة لأحد من الموجودين؛ فلم يرد عليَّ أحدًا، وكأنهم لا يروني، بعد قليل وجدت حلا تدخل المكان، فأشرت إليها فجاءت وجلست معي.

قلت لها: قلتي سابقًا لي إننا مثل الأشقاء، قالت: نعم. قال لها: أريد أن أتحدث معكِ كثيرًا، لكن ليس هنا، هل بإمكانك أن تزوريني في منزلي.

قالت: سأحاول، لكن الأمر صعب.

قبل أن أكمل كلامي، وجدت أمل تدخل علينا غاضبة وهي تقول:

لما خرجت دون أن تعلمني؟ ولماذا خالفت التعليمات؟ ألم أقل لك لاتتحدث مع أحد أبدًا ولا تخرج إلا معي؟

قلت لها: وكيف عرفتي كل هذا؟!

لم ترد علي وقالت: هيا لترجع إلى منزلك.

ذهبت معها ولم نتحدث طوال الطريق، وعند باب منزلي قالت لي: أنت معاقب لن تبرح مكانك، هذا بعض الوقت جراء ما فعلت، وأنا سأوصل لك الطعام بنفسي، ولو تكرر الأمر ستنال عقابًا أكبر.

لم ألتفت لها ودخلت منزلي وأغلقت الباب.

بعد مرور وقت طويل كاد يجن جنوني، وهممت أن أخرج مجددًا وليحدث ما يحدث، لكن سرعان ما قلت لنفسي، أمل محقة أنا من خالف التعليمات، هي تخشى عليَّ من عقاب أكبر.

وقتها دق باب منزلي، قمت مسرعًا لفتح الباب ظنًا مني أنها أمل آتية بالطعام، بالطبع وفقًا لكلامها أنا معاقب، وممنوع عليّ الخروج حتى لتناول الطعام أو للذهاب لمكان دراستي.

لكنها كانت حلا ترتدي ملابس مختلفة وكأنها مُتخفية، قالت لي: اغلق الباب بسرعة، قلت لها: لماذا؟ مما تخافي؟ قالت ضاحكة: من أمل.

قالت لي: لقد لبيت طلبك وجئت، ماذا تريد؟ قلت: أريد التحدث، منذ وفاتي لا أتحدث سوى مع أمل، نعم هي لا تجعلني محتاج لشيء، ترتب

لي كل أموري، تساعدني في أبحاثي وبالفعل قد حققت أشياء لم أصل إليها في حياتي، لكن...

وقبل أن أكمل حديثي قالت: لكنك تحس بالسأم، لا جديد، تحس أن أمل ليست من عرفتها، لم تعد الحبيبة التي تريدها، أنت تحتاج لجرعة حنان يا أحمد.

قلت لها وكيف عرفتي؟ ضحكت قائلة: هل نسيت أني طبيبة نفسية؟ وفوق كل ذلك لا أحد يسأل هنا كيف عرف؟ علاوة على كل ذلك أنا أراقبك منذ وقت طويل وأهتم بأمرك، وأعلم جيدًا ماتحتاجه، ألم أقل لك ذلك مسبقًا؟

كانت حلا فتاة شقراء لها عينين ذات جاذبية خاصة، تنطق الكلمات بطريقة غريبة، تجبرك على الإنصات لها، وكانت تتحدث إلي وكأنها تنظر لداخلي.

حينها اقتربت حلا مني جدًا، واحتضنتني بين ذراعيها وقالت: للأسف أمل التي فعلت كل هذا من أجلها لا تعرف قيمتك أبدًا، اقتربت مني أكثر وقبّلتني في شفتاي، ثم وجدت نفسي بين أحضانها وحدث بيننا ما لم يجب أن يحدث.

غادرت "حلا" منزلي وأنا في ذهول مما حدث، وبعد مرور وقت طويل، مرَّت عليَّ أمل أعطتني الطعام ثم ابتسمت لي، وقالت: سينتهي وقت عقابك قريبًا، لا تؤاخذني فأنا أخشى عليك جدًا، وقريبًا سنتزوج مثلما طلبت.

ابتسمت لها وأخذت علبة الطعام، وأنا على وشك الجنون، بسبب ما فعلته مع حلا، هل خنت حبيبتي؟ أنا خسرت حياتي ودنيتي من أجلها، يااااااه كم أنا خائن، لكنه ليس جديدًا علي، في السابق تركت أمي وأختي وجئت إلى هنا دون تفكير، والآن أفعل ذلك مع فتاة غير أمل، بئس الشخص أنا.

(١٣)

عمل في العالم الآخر

انتهى وقت عقابي بالمكوث في المنزل وعدت للمعمل، مرَّ وقت طويل، وظللت في روتيني المعتاد، حتى وصلت في أبحاثي لنتائج هائلة، وفي يوم جاءتني أمل مهنئة: لقد تفوقت على الجميع هنا، أنا فخورة بك.

قلت لها: ومن قيَّم أبحاثي؟ قالت: أحمد لا تسأل كثيرًا، لا تفسد وقت فرحتي بك، دعني أكافئك، قلت: وماهي مكافئتي؟ قالت: ماتطلبه.

قلت لها: أي شيء، قالت: نعم، قلت: أريد أن أرى أمي.

نزل طلبي عليها كصاعقة، تغيرت تعبيرات وجهها، ثم قالت: ماهذا الطلب؟ ظننت أنك ستقول أريد أن أتزوجك، قلت لها: نعم هذه أمنيتي، لكن أمي وحشتني جدًا، أنا هنا منذ فترة، وقد تفوقت في أبحاثي، وحقي أن أذهب لأراها مثلما كنتِ تأتين لي، وسأتحمل أي عقاب.

قالت غاضبة: هذا ليس بالأمر الهين، ولو سُمح لك بالذهاب إليها سيتعين عليك حتمًا أن تأتي بها إلى هنا؟ هل أنت مستعد ذلك؟

قلت: لا، أمي لا، سأتركها بجوار أختي أفضل، لن أكون أنانيًا مجددًا.

قلت لها: إذن أنتِ كنتِ تأتيني، وكان الشرط أن آتي معك إلى هنا، قالت: ليس هذا فقط، قلت: وإن كنت رفضت أن آتي، ماذا كنتِ ستفعلين وقتها؟ نظرت إليَّ وقالت لا أعلم، وكف عن أسئلتك الكثيرة هذه.

قلت لها: هل لي أن أراها حتى من بعيد؟ قالت غاضبة وبصوت يشبه الصراخ: لأ لأ لأ.

صدمت من ردة فعلها، وكأني أرى شخصًا جديدًا، ليست أمل التي عرفتها، هي تعنفني وكأن أم تربي ولدها، وليست حبيبة مع من أحبها.

هدأت من ثورتها هذه ثم قالت: رغم أنك أغضبتني لكن لن أخفي عليك المفاجأة التالية، من الآن ستبدأ العمل، انتهى وقت الدراسة، ستبدأ تطبيق أبحاثك يا بطل.

حقيقة كنت مسرورًا لكن ليس بالقدر الكبير، أنا أفكر طيلة الوقت في أمي وأختي، لقد مت ولم أرَهم، كيف حالهم الآن؟

استلمت عملي وصرت أتعامل مع عدد أكبر من الأشخاص، لكن كان أيضًا من خلال أمل التي كانت بمثابة سكرتيرة ومساعدة.

رغم كثرة الأعباء والاندماج في العمل إلا أن عقلي لم يتوقف عن التفكير، لماذا لأمل كل هذه الصلاحيات هنا؟ كيف سُمِح لأمل وحلا بالمجيء

لي في الحياة الدنيا؟ كيف تعرف أمل كل شيء هنا؟ لماذا أنا مقيد هنا بكل هذه القيود؟

لماذا لا يتحدث هنا الأشخاص لبعضهم البعض إلا قليلًا؟ لماذا محظور عليَّ الخروج خارج منزلي إلا بمعرفة أمل وفي أوقات محددة؟

كاد عقلي أن ينفجر من التفكير، وكان حتمًا لابد أن أرى حلا.

ذهبت لحيث أجدها، ولم أدخل إلى المكان كي لايقع عليَّ عقاب جديد، فقط أشرت إليها بيدي، جاءتني وقلت لها: أريد أن أتحدث معكِ، وانتظرتها في منزلي.

وبسرعة عدت لمنزلي، وعندما دق باب المنزل ظننتها أمل معنفة لي على خروجي، لكنها كانت حلا، جاءت على الفور خلفي.

قلت لها: أين أنتِ؟ لماذا لم أرَك منذ فترة، قالت: لو أردت أن تراني لجئت، والحقيقة أني ظننتك غاضب مما حدث آخر مرة.

قلت لها: أريد أن أتحدث معكِ، وطرحت عليها أسئلتي

لم تجِبني على شيء، هي كانت بارعة في السماع والإنصات فحسب.

ثم قالت: هذه هي الحياة هنا، وأنت من اخترت، مشكلتك يا أحمد هي في تصرفات أمل معك، وطريقتها الفظة في التعامل معك، ثم اقتربت مني وحدث ماحدث من قبل.

لم أؤنب نفسي كثيرًا هذه المرة، فعلًا أمل مقصرة بحقي، وكل اهتماماتها هي ترتيب شئون الدراسة والعمل، دون أن تفكر في مشاعري.

استمر روتين عملي بمساعدة أمل، وتفوقت أكثر وأكثر، وصرت هنا أحمد العبقري، بعدما كان اسمي أحمد المجنون في حياتي الدنيا.

وفي ذات يوم صحت في أمل قائلًا: أنا لم أختَر هذه الحياة لأجل العمل والدراسة، كانت لأجلك، لأجل أن أكون بين أحضانك ومعك باستمرار، أنا هنا لا أعلم شيئًا عن أي شيء، أنا أصبحت مجرد تابع لك أتحرك بأوامرك فقط، إنه ليس أنا، لم أكن يومًا تابع منفذ لتعليمات، وكأني جهاز تم برمجته.

ظلَّت تسمعني حتى أنهيت كلامي، ثم قالت: أليس نجاحك بالأمر الهام؟ ألم تفكر كثيرًا في الانتحار بسبب وصفك بالمجنون؟ ألم يرفضك الجميع بسبب أفكارك؟

هل ماوصلت إليه الآن بالأمر البسيط؟

ثم تابعت قائلة: نعم اخترتني لكني أريدك أفضل من الجميع، هل خطئي أني أرعى شئونك وأحقق لك طموحاتك التي لم تصل إليها في حياتك الدنيا؟ إن كنت تريد غيري فأفعل.

ثم همَّت بالانصراف وهي غاضبة، ناديت عليها: سامحيني، ولكن هذا وضع لم أعتَد عليه، وأنا هنا فقط لأني أحبك، قالت: لا عليك هيا نذهب.

ذهبت معها وقررت ألَّا أتحدث معها ثانية في مثل هذه الأمور، ولن أطلب الزواج منها مرة أخرى.

مرَّت عليَّ بعدها بوقت يسير وذهبنا لمكان الترفيه، لم نتحدث كثيرًا في أمور بها اختلاف، ظللنا نجري ونلعب ونتعانق حتى عدت للمنزل.

مع استمرار روتين عملي وإصرار أمل على موقفها، كنت ألجأ لحلا بين الحين والآخر أفضفض معها ثم يحدث بيننا الأمر ذاته، حتى صارت علاقتي بحلا شيء مألوف، وكنت أستدعيها حتى وإن لم يكن لدي كلام أحكيه.

(١٤)

مهاجمة العالم الآخر !

صرت في العالم الآخر هذا مثل الآلة، أعمل وأعمل وأعمل ثم أسترح ثم أستأنف، حتى علاقتي بأمل وحلا كانت لكل منهم وظيفة معي، لم أفكر كثيرًا إن كنت أحب حلا أم لا، أنا محتاجها فقط، أعلم أني الآن على علاقة بفتاتين، لكن إحداهما تهتم بكل شيء عدا مشاعري، والأخرى لا تهتم سوى بمشاعري واحتياجاتي كرجل... هي من تجعلني أتذكر إني إنسان، ولست آلة حتى ولو كنت ميت.

سارت الأمور على هذا المنوال، حتى جاء يوم غريب على العالم الآخر الذي نعيش فيه، كأن جرس إنذار دوى في المكان، حينها جاءتني أمل فزعة، واصطحبتني لمكان يشبه النفق، مكثنا فيه بعض الوقت، كنَّا كثيرين، لا يتحدث أحد، الكل يترقب، ثم دوى إنذار آخر فخرج الجميع.

قلت لأمل: ماذا يحدث؟!

توقعت إجابتها، لا تسأل كثيرًا يا أحمد،

لكن مع تكرار الأمر لم أكف عن الأسئلة، حينها أجابتني

وقالت: هجوم!

قلت لها ومن يجرؤ على مهاجمة الأموات؟ ردت قائلة: الأحياء، لا أحد سواهم، عذبونا في الدنيا حتى جئنا إلى هنا ولن يتركونا نهنأ.

لم أفهم شيء مما قالته، وعندما سألت حلا لم أتلقى منها إجابة شافية.

بعدما ذهبت للعمل وجدت أمل منشغلة مع بعض الرؤساء في العمل التي كانت تمثل حلقة الوصل بيني وبينهم.

ثم جاءتني قائلة: ياعبقري سننفذ أحد أبحاثك سننتج سلاحًا، وستقوم بالإشراف على تصنيعه وتجربته إذا حدث هجوم آخر، كالذي حدث طيلة الفترة الماضية.

انهمكنا معًا في التنفيذ والإشراف على التصنيع، ومرَّ روتيني المعتاد بين عملي ومنزلي، أوقات مع أمل والأخرى بين أحضان حلا، تعب واستراحة ثم ترفيه ثم أكرر ماسبق.

(١٥)

مكان غريب في هذا العالم

جاء اليوم الذي دوى فيه جرس الإنذار مجددًا، ولم يتم توجيهي للمخابئ مع الباقين، بل تم استدعائي رفقة أمل لتجربة السلاح، وانتقلنا لمكان آخر غير الذي أسكن به، لم أرَه من قبل، حسنًا لم أرَ أماكن كثيرة في العالم الآخر، لم يكن مسموح لي بالتنقل، وكل تحركاتي بين منزلي والعمل واستدعائي لحلا، إضافة إلى مكان الترفيه.

كان مكان واسع، به جنود للحراسة لم أرَ أيًا منهم بداخل العالم الآخر من قبل، كانت معهم أسلحة متطورة نوعًا ما.

تحدث إليَّ قائدهم مباشرة دون أن ينتظر أمل، قائلًا: أنت العالم الذي طور السلاح GA، قلت: نعم.

قال ستتولى تحفيز أعداد كبيرة منه الآن ثم توزعها على هؤلاء الجنود، قلت: حسنًا سأفعل.

الأمر الغريب إن المكان الذي كنَّا فيه كانت تظهر فيه الشمس، لكن كيف؟ أنا هنا منذ مدة ولا أعلم كم، فلا أيام هنا ولا ليالي، لم أرَ الشمس أو القمر، لا أجد صيفًا أو شتاءً، لم يكن الأمر المستغرب الوحيد هو ذلك الأمر.

القائد يتحدث لجنوده مثل الأحياء، ومن ثم يعاملني كذلك، فما الأمر؟

أين نحن الآن؟ كان هذا هو السؤال الذي سألته لأحد الجنود، قبل أن تأتي أمل واضطر للصمت، وإكمال عملي.

لكن في غفلة منها سألت أحد الجنود الذي كان لا يتحدث سوى الإنجليزية، قال نحن في أطراف هذا المكان، هناك هجوم يجب أن يتم إجهاضه، وغير مسموح للمدنيين أمثالك بالتواجد هنا لكنها الضرورة، قلت تقصد الميتين: قال مدنيين ميتين الأمر سواء.

انتهى عملي وعدت حيث جئت، ولا يزال لدي مئات من الأسئلة، لم أرغب في سؤال حلا، فقد كانت لقاءاتي بها قليلة، لأنني انهمكت في عملي جدًا، وكذلك هي لا تجيب عن أية أسئلة.

بعدها طلبت مني أمل صنع عدة أسلحة أخرى، لكنها طلبت أعداد كثيرة حتى لا أذهب لهذا المكان مجددًا، قالت إنها تخشى عليّ أن يصيبني مكروه.

هي تعرف أن لدي أسئلة كثيرة، وتستغرب من عدم سؤالي لها حتى الآن، لعلها تدرك الفجوة التي أصبحت بيننا.

(١٦)

البحث عن الحقيقة

أصبحت لا أفكر إلا في المعرفة، حق المعرفة هو حق أصيل لأي إنسان حي كان أو ميت، لذلك لم أصنع الأسلحة على أكمل وجه، حتى يتم استدعائي وقت حدوث هجوم، وبالفعل قد كان.

وذهبت هناك مجددًا، وتعاملت وكأني واحد منهم، وصرت أقترب أكثر وأكثر من المعارك؛ لعلِّي أرى أشياء جديدة وسط تحذيرات من الجنود وقائدهم، وقد رأيت ما أذهلني.

كان هناك بوابة كبيرة عليها حراسة مشددة، ومن خلفها ألمح طريقًا به أشجار، يااااه لم أرَ أشجار منذ وفاتي.

كان المشهد مثل العالم الذي عرفته، لكن كيف هذا ونحن أموات، لا أدري ولا يستوعب عقلي ماذا يحدث.

بعد الانتهاء من صد الهجوم عدت إلى منزلي رفقة أمل، لم أتكلم مطلقًا، في الحقيقة كان ذهني مشغول بما رأيت، ويدور في رأسي الآلاف من الأسئلة، أمل لاحظت ذلك، كانت تملك ذكاء غير عادي.

أوصلتني للمنزل، وعادت بعد فترة، طلبت مني الخروج، أخبرتها أني لا أريد، قالت: أريد أن أتحدث معك، قلت لها: نفعل لاحقًا.

قالت: الآن، ثم دخلت معي المنزل وقليلًا ما كانت تفعل ذلك، قالت: أعلم أن لديك الكثير من الأسئلة، وأنا قصرت في حقك كثيرًا.

لكن كما أخبرتك سابقًا كنت أريد أن نرى النجاح الذي طالما حلمنا به في الدنيا، أنا أعتذر لك ياحبيبي.

اقتربت مني وضمتني إليها، كم كنت أفتقد حضن أمل! لم تفعل ذلك منذ وقت بعيد، كانت لحظات جميلة، لكنها فاجئتني وخلعت ملابسها، كنت في ذهول، فطالما تمنيت هذه اللحظة ثم اقتربت مني، وقالت: هيا ألا تريد أن تتزوجني؟

قلت لها: طلبتها منكِ مرارًا، قلتي: ليس بعد، ابتسمت وقالت: لقد حان الوقت، قلت لها: لكن هل بهذه السهولة؟ قالت: نعم، هذه أمور خاصة بيننا ليس علينا رقيب، استغربت من كلامها، لكن الموقف ليس وقت استغراب، فعلت مثلها وحدث ما تمنيته في حياتي، وظللنا مع بعضنا أوقات كثيرة جميلة، أحسست فيها أني في الجنة.

انصرفت أمل وقالت: إنه غير مسموح أن يمكث أحد مع الآخر في منزله، لكنها ستمر عليَّ باستمرار، ولا يجب أن يعرف أحد أي شيء عن زواجنا.

فكرت كثيرًا في كلمات أمل، هذه أمور خاصة! إذن أين التعليمات وكل شيء بإذن؟ أم أن التعليمات خاصة بي فقط؟ إذا كان الزواج بهذه السهولة، لماذا لم تفعل هذا من قبل؟ هل حلا زوجتي إذن؟

وهل ما رأيته بالخارج وكأنها الدنيا حقًا؟

أحمد عمران لم يكن يومًا جاهلًا أو مغيبًا، إن غلبتني الظروف يومًا، فلست مضطرًا لإلغاء عقلي حتى لو كنت ميتًا، لطالما كنت متميزًا وسأظل كذلك مهما حدث، عليّ البحث عن الحقيقة حتى لو كنت في العالم الآخر.

على غير عادتها زارتني حلا من نفسها، جاءتني معاتبة على عدم تفقدي لها، وبعدما حدث بيننا ماحدث، سألتها: هل نحن متزوجون؟ ضحكت وقالت: لا، هل يوجد زواج هنا؟!

قلت لها لو أردت أن أرى أمي ماذا أفعل؟ قالت ساخرة انتظر لعلها تأتيك هي، أليست كبيرة في السن، حتمًا ستموت.

إزاء هذه السخافة أخبرتها أني لا أريد التحدث إليها بعد الآن.

وكذلك أصبحت أمل تزورني باستمرار ولا يصح أن تراها، وأنا الآن متزوج، وحلا تسمع مني فقط ولا جواب شافي لديها، هي بمثابة المسكنات.

على مدار وقت ليس بالكثير تكرر الهجوم وتكرر طلبي لصد الهجوم مع الجنود، الذين اعتادوا على وجودي معهم، وأصبحت أتحدث إليهم بحذر، لأعرف أكثر عن هذا العالم وعن المهاجمين.

انهمكت في عملي أكثر وأكثر، الأمر الذي كان يسعد أمل كثيرًا، وكنت أقضي أوقات كثيرة بالعمل وأنصحها بالذهاب للمنزل، وأمكث أنا بالعمل حتى أفقد وعيي، وفي غفلة من الجميع كنت أطور بعض الأسلحة.

(١٧)

ثمن الوصول للحقيقة

في أحد الأيام تحدثت لأمل قائلًا: أمي كبيرة في السن هل لو ماتت ستأتي إلى هنا؟ قالت: لا أعرف، قلت لها لماذا لا تعرفين؟

قالت العالم الآخر كبير جدًا ياحبيبي، ربما تذهب إلى مكان آخر، قلت لها مستنكرا: ولماذا لا تأتي إلى هنا؟

قالت الأمور لا تُدار هكذا، يوجد ترتيبات أخرى غير معلومة لنا، قلت لها: ولمن تكون معلومة إذن؟ قالت: لمن له صلاحيات أكبر لمعرفة مثل هذه الأمور.

قلت لها بغضب: لماذا أنت لك صلاحيات كثيرة غير ممنوحة لي وأنت هنا قبلي بشهور قليلة؟

صمتت قليلًا ثم قالت: لعلِّي فعلت شيء عظيم أعطاني هذه الصلاحيات، سألتها مجددًا: ومن يعطي هذه الصلاحيات ويحدد هذا النظام ويقول التعليمات ويقرر العقاب؟

قالت: هناك رؤساء، قلت: ومن عيَّنهم رؤساء؟

(كظمت غيظها وكانت مضطرة لذلك، فبعد يوم المعركة وما رأيته هناك تغيرت معي، وأصبحت مضطرة للإجابة عن تساؤلاتي).

قالت: هناك نظام فوق النظام، هؤلاء قدامى هنا ولهم إسهامات أكبر، لذلك لهم أفضلية (رغم أن الإجابة لم تكن مقنعة لي إلا أني تصنعت الاقتناع).

يبدو أن أمل تستقي صلاحياتها مني، مرة بمجيئي معها إلى هنا، ومرة بتفوقي في الدراسة والعمل.

سألتها مجددًا: من هؤلاء المهاجمين؟ قالت: الأحياء، قلت: وماذا يريدون منَّا؟ قالت: اقتحام عالمنا والحصول على خيراتنا، وما وصلنا إليه من تقدم.

قلت: وهل سنهزمهم؟ قالت: نعم، بفضل العلماء أمثالك، قلت لها: ولمَ لانتحاور معهم؟ قالت في غيظ: ليس من شأننا أن نحدد هذا الأمر.

قلت: إذن كيف يروننا؟ ونحن أموات؟ قالت: ومن أخبرك أنهم يروننا إذن؟ نحن نحاربهم وهم لا يروننا، نحن فقط من نراهم لذلك نهزمهم بسرعة.

-لم تكن إجابات شافية ولا مقنعة بالمرة، خصوصًا لشخص مثلي.

قلت: حسنًا ياعزيزتي، أرهقتك بأسئلتي، كنت عاهدت نفسي ألَّا أسأل مجددًا، لا أريد أن أتعب رأسي في أمور لن تنفع، يكفي أنك بجواري وأني في قمة نجاحي.

قالت مبتسمة: ياحبيبي أنا لا أريد سوى أن أراك بخير، والمعرفة من عدمها لن تجدي بشيء، نحن بالفعل في عالم آخر، إذن لما الضجيج، قلت صدقتي القول حقًا.

ظللت أعمل في صمت، وفي غفلة من الجميع أطور سلاح جديد من صنعي، وقررت ألا أتحدث لأحد مجددًا في أمور خاصة بالعالم الآخر، روتين عملي لم يتغير، وزيارات أمل لم تنقطع، أصبحت تهتم بي أكثر، كان يتم استدعائي كل مرة للخارج لأرى أشياء أكثر وأعرف أكثر، حتى وصلت لقناعة أنه يوجد خلل ما.

أمل أحسَّت مني كذلك، لكنني قررت عدم التحدث معها، فهي ذكية جدًا، ولا تريد أن تبادرني بالسؤال، فربما هي مخطئة في ظنها، لكنها تعلم أنه ثمة شيء

وبالفعل تأكدت شكوكي، أمل طلبت منهم عدم ذهابي مجددًا لصد أي عدوان، في أول عدوان حدث دقات صافرات إنذار، لم يتم استدعائي وتم إيداعي في المخابئ مع الباقين.

لا أعلم هل استغنوا عن خدماتي أم أنهم يخشون مني؟ لكن أمل لها دور رئيسي، فأنا زوجها ومن قبل حبيبها، لكنها تفعل ما يعطيها صلاحيات أكثر هنا حتى مع زوجها، هكذا فهمت.

بعد انتهاء عملي متأخرًا كعادتي مؤخرًا، جاءتني حلا تبدو حزينة، قالت إنها تشك أني استغنيت عنها عندما اهتمَّت بي أمل.

قالت: إنها تحبني حتى من قبل أن آتي للعالم الآخر، وتابعت: أنها حذرتني من أمل في حياتي، وطلبت مني أن أكون لها وليس لأمل، ثم قالت لي جملة كانت لي كالصاعقة!

قالت: هيا نهرب من هنا!

استغربت كلامها وقلت إلى أين؟ قالت لأي مكان، قلت لها كيف ونحن في العالم الآخر؟!

قالت: أنت لا تعرف شيئًا، كل فترة يحاول أحد الهروب من هنا؛ لذلك تدق صافرات الإنذار، قلت لها: ومن أخبرك بهذا؟

قالت: هذه حقيقة، نحن نختبئ لكي يتم التعامل مع الهاربين والقضاء عليهم، قلت: إذا كنَّا أموات، فمن يقضي عليه أين يذهب؟ قالت لعذاب أليم ونهائي.

قلت لها: أنا لا أعلم عن ذلك شيئًا، ولن أستطيع مساعدتك، أنت هنا أقدم مني وتعلمين أكثر مني، أنا سعيد بوجودي في عملي وبجواري أمل فحسب، تركتني وهي حزينة وقالت لي: فكر بما قلت وإلا سوف تندم.

توقفت كثيرًا بعد كلمات حلا، وسألت نفسي: عالم آخر غير مانحن فيه، هل يمكن الهروب من هنا؟ القضاء على من سيهرب! كيف كل هذا؟

من يحبني حقًا؟ أمل التي تبحث عن زيادة صلاحياتها، ولا أعلم عنها أكثر مما أعلم، وربما جاءت بي من الدنيا إلى هنا لكي تزيد من صلاحياتها، أم أن حلا التي احتضنتني وحذرتني من أمل في حياتي وبعد موتي محقة.

عقلي على وشك الانفجار، تعبت حقًا، فلينفجر أنا ميت، لكن هذا مايجعل لي قيمة هنا، ماذا أفعل؟

حاولت الاندماج في عملي، لكن ظلَّت هذه الأفكار تطاردني باستمرار، اضطررت للإهمال في صنع الأسلحة التي تستخدم في الحروب، ظنًّا مني أني سأذهب للمكان الذي سبق وذهبت إليه، لكن لا فائدة، وحدث العكس تمامًا، تم تعنيفي من أمل.

وقالت: إني سأفقد وظيفتي وأصبح بلا قيمة، وقتها تم عقابي بالمكوث مدة أطول بالمنزل، انتظرت حلا لكنها لم تأتِ.

بعد عودتي للعمل اضطررت لإخراج ما بجعبتي، وكشفت لهم عن السلاح الذي كنت أعده لهم، وهو سبب إهمالي في السلاح السابق، الجميع ممن لهم الحق في الحديث معي أشاد بما فعلت عدا أمل.

لاحظت في عينيها غضب شديد، لأني أخفيت عنها هذا الأمر، حتمًا كان لابد لي أن أذهب للجبهة أو كما اخترت لها أنا هذا الاسم، حتى أوضح لهم كيفية استخدام السلاح، كان ذلك ليلًا بتوقيت الأحياء.

نظرت للسماء، يااااه لم أرَ القمر منذ كثير جدًا، لم يكن وقت صد هجوم لكن كان لابد من تجربة السلاح هذا، وتدريبهم على كيفية العمل به، خصوصًا أني قصدت وقت صناعته أن يكون معقدًا، تعمدت ألَّا أتحدث مع أحد، وألَّا أتفقد المكان وحسب، فقد كانت أمل تراقبني جيدًا.

رجعنا من الجبهة للمنزل، دخلت أمل معي المنزل مباشرة، جلست على السرير، وقالت: أحمد أنا أعرفك جيدًا وأعرف أنك لا تفعل شيئين في وقت واحد إلا لأمر خاص، كما أنك لم تتعود إخفاء شيء عني، خصوصًا في العمل، ماذا بك يا زوجي؟

قلت زوجك! قالت: نعم. قلت: زوجك لا يعلم عنك شيئًا، تأتين له وقت ما شئتِ وتذهبين وفق ماتريدين، زوجك هنا في سجن لا يعلم إلى متى؟ أحسست أنها تستغرب كلامي فقررت المناورة

(لأني لم أعد أطمئن لها).

قلت لها: أردت أن أصنع لكِ مفاجئة حتى تزدادي فرحًا وفخرًا بي، أليست هذه الأمور تسعدك؟ هل عندما أفعل مايرضي زوجتي تفعلين هكذا؟

لقد تركتك تعنفيني وتهددينني بالفصل من عملي، وتحملت صعوبة كلماتك علي، وذلك من أجل هذه المفاجئة، هل يكون هذا جزائي، لقد جئت للعالم الآخر لأجلك، لقد تغيرتي كثيرًا يا أمل، لم أكن أتوقع منك كل هذا.

اقتربت مني واحتضنتني وقالت آسفة يا حبيبي، أنا فقط أخاف عليك كثيرًا سامحني، قلت لها: لولا أني أعشقك لما سامحتك، ابتسمت وقالت: وهل تأسرني دومًا سوى بذلك العشق؟

(١٨)

بداية النهاية

قررت مجددًا أن أصنع سلاحًا خاصًا بي، وتعمدت ألا يظهر أنه سلاح، إذا وقع في يد أحد لا يعرف ماهيته، ولا كيفية استخدامه، وكنت مضطر أن أعمل فيه ببطء شديد؛ لأن أمل كانت ترافقني باستمرار إلا قليلًا، كان روتيني مستمر، وحلا لم أعد أراها، ولم أستطع السؤال عنها.

تم استدعائي للجبهة مجددًا، كنت دون أمل، كان الأمر على عجل، كانت فرصة لتفقد المكان أكثر وأكثر والتعرف على كل شيء، فطنت كل شيء هناك لكن مازال يحيرني سؤال، هل هؤلاء الجنود وقائدهم أحياء؟ إذن كيف يرونني ويتحدثون إليّ؟

أمل قالت: إن الأحياء لا يرون الأموات، ولو كانوا أموات لمَ يتعاملون كأحياء؟ وكأنهم فرقة عسكرية، هل هؤلاء حراس العالم الآخر مثلًا؟

إذن ما الذي يظهر من خلف البوابة البعيدة، فهي مثل دنيا الأحياء، أشجار وطرقات وسماء وشمس وقمر!

إذن هل أنا مازلت حيًا؟ إذن كيف أنا هنا في العالم الآخر؟ وكيف أرافق أمل وهي ميتة فقد رأيتها في حياتي وبعد موتي؟ هل كان كلام حلا صحيح أنه يمكنني الخروج من هنا؟ ولمَ لا أخرج؟ فقد فعلتها أمل وحلا مسبقًا.

حسنًا سأجازف وليحدث مايحدث، هل سأذهب إلى عذاب أليم، أنا لا أخشى إلا الجهل، أكره أن يتم تجهيلي هكذا، أنا لا أعرف كيف تحمَّلت ومازلت أتحمل هذا الوضع؟ إنه ليس أنا، أنا هنا كآلة صماء تعمل فقط.

لا يوجد عذاب أكبر من أن يصبح الإنسان جاهلاً بما يحدث حوله، ليس أصعب من خديعة شخص يفترض أنه عالمًا يتم استنزافه واستغلاله، وفي نفس الوقت خداعه وتجهيله، حتمًا أبحث عن الحقيقة مهما كان ثمنها.

انتهيت من صناعة سلاحي وقد كان يرافقني طيلة الوقت، لئلا يتم استدعائي في أي وقت، مرَّ الوقت الذي كنت أنتظر فيه استدعائي طويلًا، وكان كل تخوفي ألا يتم استدعائي وأن يكون مصيري المخبأ مع الباقين.

(١٩)

فرار من العالم الآخر

بعد طول انتظار جاءت اللحظة تم استدعائي، كل ما جال بخاطري أني لو نجحت في الهروب سأرى أمي حتى ولو لم أحادثها، سأطمئن على أختي، سأعلم ماذا خلف هذا العالم.

طمأنت نفسي قائلًا: حتى لو فشلت ماذا سيحدث؟ سأذهب لجحيم أبدي! أي جحيم سيكون أرحم من هذا التيه الذي أعيشه، أنا عدو ما أجهله، حق المعرفة يستحق التضحية، لو فشلت سأسجن بمنزلي، لا فرق نحن جميعًا بسجن كبير، ومهما حدث لن أموت مرتين.

لحسن حظي كان الهجوم شرسًا جدًا؛ فتم تفتيشنا سريعًا، لم يلاحظ أحد سلاحي المخبأ بين طيات ملابسي، ذهبت وحييت القائد وتسلَّمت

عملي، واصطنعت مساعدتهم ثم باغت الجميع وأخرجت سلاحي، وجريت نحو البوابة وسط صرخات من أمل.

صاح القائد عُد وإلا أطلقنا عليك النار، لم أكترث لما يقول، بالفعل أطلقوا النيران لتهديدي، كانت بالقرب مني، كادت أن تصيبني، قلت في نفسي كيف وأنا ميت؟!

لم أفكر كثيرًا أطلقت عليهم غاز من سلاحي أصابهم بالعمى المؤقت، فقد صنعت سلًاحا متعدد المهام، لن يقتل ولكنه يصيب بالعمى ويشل الحركة، ويدمر الجدران.

ظللت أركض تجاه البوابة، تحركت آليات عديدة تريد اللحاق بي، اضطررت لاستخدام السلاح مجددًا، وقمت بإعطال هذه المركبات.

عندما وصلت للبوابة وجدت قوات من الشرطة خارج البوابة، كانوا هم المهاجمين، لم أركز في شكل ملابسهم ولا الحروف المكتوبة عليها، لكني قمت باستخدام السلاح وأطلقته بكثافة على من تبقى من جنود حراسة البوابة لهذا العالم، وذلك لشلهم عن الحركة.

ثم قمت بتدمير البوابة سريعًا، قلت في نفسي فرحًا أنني عبقري حقًا صنعت سلاح فتّاك.

وأنا في أوج انتصاري جاءتني رصاصة من القوات المهاجمة، استغربت، كيف رأوني؟ هل كانت رصاصة طائشة؟ إذن كيف تصيب ميت؟ لم أفكر كثيرًا فقد فقدت وعيي ولم أدري بشيء حتى فقت.

(٢٠)

في المستشفى، بين الأحياء

وجدت نفسي في مكان أشبه بالمستشفى، أنا بي جروح كثيرة، دخل علي شخص، يبدو أنه طبيب، فحصني بقوة ثم ذهب، ثم جاءت أخرى يبدو أنها ممرضة أعطتني حقنة ثم ذهبت، لا أحد يتحدث معي.

هل هذا هو الجحيم أم سجن جديد؟ لا أدري، لكن كيف يروني إن لم يكونوا أموات مثلي؟

جاءني وفد يرتدي ملابس الشرطة، قال لي أحدهم من أنت؟ (كانوا لايتحدثون العربية) كانوا يتحدثون الروسية.

قلت له بالروسية فقد كنت أعرف بعض كلماتها: هل أنتم أموات مثلي؟ نظر إلي أحدهم باشمئزاز، ثم قال من أنت؟ قلت لهم اسمي أحمد من

مصر لكن ما الخطب هل هذا هو الجحيم أم عالم آخر يتحدث الروسية فقط؟ نظر إليَّ بغضب واشمئزاز.

ثم أشار لشخص خلفه وهمس إليه ثم جلس يحدق فيّ وحسب، بعد مرور بعض الوقت جاء شخصان آخران، تصافحا مع هذا الضابط، ثم تحدثا بكلام لم أتمكن من سماعه، بعدها تقدم لي أحدهم قائلًا بالعربية: من أنت؟ قلت له أخيرًا شخص يعرفني أنا أحمد من مصر، توفيت من فترة وجئت لعالمكم، قال لي مستنكرًا: توفيت ثم جئت.

ماذا كنت تعمل مع هؤلاء، قلت: هؤلاء! من؟

أنا هربت من هذا العالم لأرى أمي هذه ليست تهمة لكي تذهبوا بي إلى الجحيم.

استشاط الرجل غضبًا ثم قال: أنت مجنون؟ جاءني رجل خلفه وقال: لا تتعب سيادة السفير وجاوبني بكل صدق يابني، لماذا فعلت كل هذا؟ قلت له: لأجل أمل، قال: وهل أمل تستحق أن تحدث هذا الدمار؟

قلت: أي دمار؟ أنا أرحت الناس مني ومت، قال: لا تصطنع الجنون، هل أنت أحمد عمران؟ قلت: نعم، لك أخت اسمها سالي عمران تعمل صيدلانية؟ قلت: نعم، كنت تقيم بالقاهرة حي الجمالية؟ قلت له: صحيح.

قال لي: قدمت لروسيا في شهر نوفمبر، قلت: نعم، قال: أين ذهبت بعدها؟ قلت له مت. قال: ياإلهي إن كنت مت كيف تتحدث إلي؟ قلت: لأنك ميت مثلي.

قال: أيها الوغد أختك قادت حملة على مواقع التواصل الاجتماعي تحت عنوان اختفاء باحث في ظروف غامضة، ومنذ شهور طويلة نبحث عنك، وضعتنا في موقف حرج أمام القيادة السياسية وأمام الشعب المصري، وكل ذلك الوقت أنت هنا برفقة مجرمين تتعاطى المخدرات.

قلت مستغربًا: مخدرات؟ قال غاضبًا: نعم وأظهرت التحاليل تعاطيك لأنواع غير معروفة من المخدرات.

لم أستطع التفوه بكلمة ولم أدرِ ماذا يقول؟ ظننت أنه اختبار لي من رؤساء العالم الآخر، أو أن هذا هو بداية العقاب، خصوصًا أني بدأت أحُس بصداع شديد في رأسي، وإجهاد لم أعهده من قبل ولا أدري ماذا حل بي؟!

انتظرت أن تدخل علي أمل توبخني لما فعلت، ولتخبرني ماذا علي فعله، ثم انتظرت مجيء حلا، كل الموجودين هنا يتحدثون الروسية ويعاملونني باحتقار.

مرَّ وقت طويل حتى امتثلت للشفاء من جرح الطلق الناري، انتظرت أن أرجع للعالم الذي جئت منه لكن لم يحدث.

(٢١)

ترحيل قسري

بعد أن أتممت شفائي قامت قوة من الشرطة الروسية باصطحابي لمكان لا أعلمه، فقد كنت معصوب العينين، أدخلوني غرفة ونزعوا عصابتي وجدت نفسي أمام عدد من الأشخاص، أجلسوني بالقوة على كرسي ثم قيدوني وأوصلوا عددا من الأسلاك بي، قلت في نفسي: يبدو أن ذلك هو الجحيم الأبدي.

وجدت من يتحدث معي بالعربية، يبدو أنه مترجم، قال: من أنت؟ أجبت: أحمد عمران.

من أين جئت؟ من مصر.

متى جئت روسيا؟ قلت: كان في شهر نوفمبر الماضي، قال: نحن الآن في شهر أكتوبر أين كنت طيلة هذه المدة قلت: كنت ميت.

قال: والآن؟ قلت له: لا أعرف.

قال أنت عالم هل يمكن لأحد الموت ثم العودة للحياة؟

قلت له: لا أعرف لكن دعني أحكي لك ماحدث معي، قصصت عليهم قصتي فتشاوروا جميعًا ثم انصرفوا عني.

بعدها تم وضعي في غرفة مغلقة تحتوي على سرير فقط، ثم جاء عدد من الأطباء قام أحدهم بمناقشتي في أشياء عدة ثم أجرى لي اختبارات قدرات عقلية، وقام آخرون بأخذ عينة دم مني.

بعدها بأيام فوجئت بوفد يتحدث الإنجليزية يصطحبني للمطار، واستقليت طائرة وأنا معصوب العينين أيضًا.

لم يفارقني الصداع قط، بل كان في ازدياد، ظننت أولًا أنه من جراء الطلق الناري، ثم حدثت نفسي أنه ربما بداية العقاب الأبدي الذي قالت عنه "حلا" سابقًا.

(٢٢)

لا أعرف أنا ميت أم حي!

من فرط إرهاقي وتعبي نمت على حالتي هذه، فقد كنت مقيد اليدين ومعصوب العينين، فمنذ ذلك اليوم الذي قررت فيه الهرب من العالم الآخر ولدي رغبة باستمرار للنوم، وعندما استيقظت من نومي سمعت صوت ترحيب إننا في الأراضي المصرية.

كدت أطير فرحًا لكن لدي أحاسيس متضاربة، لا أعلم هل أنا ميت أم مازلت من الأحياء؟ إذا كنت حيًا فأين كنت طيلة أحد عشر شهرًا؟ وماذا حدث معي؟

وإن كنت ميتًا فلم نركب طائرة؟ أليس الموتى يذهبون أينما شاءوا بسهولة؟ لكن هذا لم يحدث معي وأنا في العالم الآخر!

هل فعلًا كنت أتعاطى المخدرات كما قال مساعد السفير؟ هل تم اللعب بي لهذا الحد؟

تم تسليمي لسلطات المطار من قبل الأشخاص الذين يتحدثون الإنجليزية، يبدو أنهم من الإنتربول الدولي.

دقائق وجاء أشخاص آخرون يتحدثون العربية، اصطحبوني وأنا معصوب العينين في سيارة إلى مكان لا أعرفه، ركبنا مصعد كهربائي من عدة طوابق، ثم دخلت مكتب لا أعرف لمن.

تم نزع العصابة من على عيني وجدت شخص يرتدي بدلة ورابطة عنق، يبدو أنه شخص مهم، قال ساخرًا: مرحبًا أحمد بيك عمران، حمدًا لله على سلامتك، مصر تشرفت بك كثيرًا، انتظرته حتى انتهى من كلامه.

قلت له: هل توجه كلامك لي؟ قال: وهل موجود غيرك بالمكتب؟

قلت: هل تراني حقًا؟ هل أنا حي ولست ميتًا؟ رد غاضبًا: أيُّها المتخلف، هل تظن أنك ستخدعني أنا الآخر كما فعلت مع السفير المصري في روسيا؟ وكما فعلت مع الشرطة الروسية، أنت هنا في مكان يمكن أن ترى فيه من الجحيم ألوان.

قاطعته: إذن أنا ميت وهذا هو العذاب الأليم، قال: لا تصطنع الجنون أيها الذكي، أنا أعلم مثل هذه الأمور، لقد قابلت طيلة حياتي مجرمين كثيرين، أتظن أنك ستنجح في خداعي، لقد أبيضَّ شعري هذا وأنا أخدم هذا البلد وأوقع بالجواسيس والمجرمين أمثالك.

قلت له: مجرمين؟ أنا مجرم؟ قال: نعم وأي مجرم، كثيرون مثلك سافروا للدارسة وعادوا لينفعوا بلادهم، كثيرون بالخارج واجهة مشرفة لمصر، أما أنت فجريت وراء أهوائك وصرت عارًا على بلدك.

حتى هذه اللحظة لا أدرى هل هذا هو العقاب الذي قالت عليه حلا؟ أم أنا بين الأحياء، هل أنا ميت حقًا، وإذا كنت حي فمتى حدث معي كل هذا؟ أنا لم أدمن المخدرات يومًا ما، ماذا يحدث لك يا ابن عمران؟

مكثت في هذا المكان بضعة أيام، لا أعرف الليل من النهار، كما كنت في العالم الآخر، لكن هنا لا أحد يتحدث معي، كان يتم استدعائي والتحقيق معي، وسماع قصتي ومن ثم تعنيفي، وبالطبع تعبي في ازدياد، كررت لهم قصتي مرارًا وتكرارًا، حتى لم يصبح لدي جديد أقوله.

(٢٣)

أنا لستُ ميتًا، لكن

بعد آخر لقاء مع الشخص الذي قابلته أول مرة، قال: أنا لم أرَ طيلة حياتي المهنية شخصًا مثلك، أنت بارع جدًا في الكذب، لديك قوة خارقة في الكذب، أو أنك مجنون، في كلتا الحالتين أمرك ليس بين يدي، سيتم ترحيلك إلى النيابة وهي من ستتولى أمرك.

خرجت من هذا المكان، لم أكن معصوب العينين، لقد كنت في مبنى متعدد الطوابق عليه حراسة مشددة من الخارج، يبدو أنه مبنى لجهة سيادية.

ركبت عربة ترحيلات، بالطبع أعرف شكلها ولونها الكحلي الغامق، الآن أدركت أني لست في العالم الآخر.

الأن تأكدت أني من الأحياء، أنا الآن في مصر التي أعرفها، أرى الشمس وأشتم رائحة عوادم السيارات، الغبار يدخل إلي بين الحين والآخر، الازدحام المروري كما هو، كذلك الأصوات العالية لآلات التنبيه، حقًا أنا لست في العالم الآخر، وأيضًا هذا ليس هو الجحيم، إنها مصر ليست جنة، كما أنها ليست جحيمًا

لابد وأنني مازلت على قيد الحياة، إذن فكل ماحدث لي ماهو تفسيره؟ هل كان حلمًا؟ لا أعتقد، هل كانت هلاوس من جراء المخدرات؟ لكني لم أتعاطَ المخدرات قط، إذن ماذا حدث؟ هل أنا مجنون حقًا؟!

وصلت مقر النيابة، نزلت من السيارة مكبل اليدين، بعد مرور بعض الوقت تم إدخالي لغرفة وكيل النيابة، كان شخص في مثل سني يرتدي ملابس أنيقة، يبدو عليه الوقار.

قرأ ملف مكتوب أمامه ثم قال: متهم مرحل من دولة روسيا، يعمل مع عصابات تهريب دولية، سافر لهناك وادَّعت أسرته أنه مخطوف، تم إلقاء القبض عليه في أثناء مداهمات لأحد الأوكار الخاصة بهم.

نظر إليَّ موجهًا كلامه: هل أنت عالم مجنون أردت الانتقام من البلد لتجاهل أبحاثك المجنونة؟ أم أنك مجرم شديد الإجرام بعت ضميرك لأجل حفنة من الدولارات.

قلت له: لا هذا ولا ذاك، لقد حدث معي... وقصصت عليه قصتي.

قال: التحريات تقول إنه لايوجد أحد اسمه أمل في العنوان الذي ذكرته، وكذلك لا توجد وفيَّات بذات الاسم في التاريخ الذي ذكرت! قلت مستغربًا: ولكن هذا ماحدث معي.

قال: إذا كنت صادقًا فأين ذلك السلاح الذي قاومت به من تقول إنهم في العالم الآخر؟ قلت له: لاأعرف، لعله فُقد في أثناء إطلاق النار عليَّ.

وقال: وماذا عن هذه التقارير والتحاليل الطبية التي أثبتت أنك تتعاطى مخدرات بنسب عالية جدًا، منها أنواع غير معروفة حتى للشرطة الروسية!

قلت له: لم أشرب مخدرات في حياتي أبدًا، نظر إليَّ وقال: أنت عالم، متفوق في دراستك، هل درست يومًا ما إن الأموات يعودون للحياة، أو أن الأموات يأكلون ويشربون ويجرون أبحاث علمية؟

قلت: لم أدرس ذلك قط، لكنى رأيت بعيني، والتجربة خير دليل، قال لي: إذا كان كلامك صحيحاً هل رأيت موتى يعودون للحياة الدنيا؟ قلت: أمل، قال غاضبًا: لايوجد أحد اسمه أمل.

ثم قال: أنا أود مساعدتك لكن أنت ستضطرني لسجنك، قلت: سجن، لماذا؟ أنا لم أفعل شيئًا.

قال مستغربا: لم تفعل شيئًا، أنت مرحل من قبل الإنتربول كشخص خطير، تم ضبطه مع عصابة خطيرة للغاية، والآن أنت في بلدك لتنال عقابك على هذا الجرم.

ثم تابع كلامه وقال لي بهدوء: نحن تقريبًا في نفس العمر، أخبرني مع من كنت تعمل؟ وأنا أعدك سأساعدك، قلت له: لم أعمل سوى في مركز أبحاث العالم الآخر، وضع يده على رأسه وقال: أنت غبي وستؤدي بنفسك للهلاك.

قال: إذن ما دوافعك لذلك؟ قلت أردت أن أكون بصحبة أمل.

استشاط غضبًا قائلًا: أمل أمل، ستسجن مدى الحياة بسبب أمل.

ثم قال سأرضي ضميري حتى لا أظلمك، سأعرضك على مستشفى نفسي وهم من سيقررون حالتك وبعدها سأتَّخذ قراري.

(٢٤)

جحيم في الحياة الدنيا

تم حبسي في غرفة أسمنتية ظلماء تشبه القبور، لقد ذهبت لعالم آخر ولم أرَ هذا القبح، ليته يكون حلم، سأغمض عيني وأفتحها سأجد أمل جاءت لتنقذني من هنا.

ربما ستأتي حلا، أنا لم أعد أفهم شيئًا، أنا عدو لجهلي، ولكني الآن في أضعف حالاتي، هل تم اللعب بي لهذه الدرجة؟ إذن إذا كان كذلك، من لعب بي أصلًا ولمصلحة من؟ هل أنا مجنون؟

مرَّ بعض الوقت، فلم أعد أستطيع حساب الوقت، مكثت مدة طويلة دون ساعة ولا تحديد للوقت، فقد كان الوقت هناك متشابه لا ليل ولا نهار.

أحسست بتعب شديد أكثر مما أنا عليه، نمت مكاني على الأرض، حتى وجدت يد بشرية تحركني يمينًا ويسارًا، للوهلة الأولى ظننتها أمل، لكن كانت يد جندي صغير السن توقظني لكي نذهب للمستشفى.

ذهبت معه، وتم عرضى على طبيب ثم آخر ثم آخر، يبدو أني أصبحت مشهور، فالكل لديه شغف لرؤيتي وسماع القصة التي لاتصدق ولا يقبلها عقل ولا منطق، لكن عندما تم عرضي على مدير المستشفى كنت كأنني في الجحيم حقًا.

أمر بتوثيقي وربطي في كرسي من المعدن، سألني: أجبته كما أجبت من سبقه، أمر بكهربتي، أحسست أن روحي تخرج مني، أوقف الكهرباء.

وقال هل لا تزال تقول أن أمل أخذتك للعالم الآخر؟ قلت له: نعم، أعاد ما فعله معي، لم تختلف إجاباتي فهذه هي الحقيقة، أنا لا أكذب.

كرر الأمر مرات عديدة، استخدم معي كل ألوان التعذيب، ولم أدرِ هل كان علاجًا أم عقابًا على ذنب لم أقترفه؟

أخيرًا أرسلوني للنيابة ومعي تقرير يفيد أن جسمي به كميات كبيرة من المخدرات، قد سببت تلف في قدراتي العقلية، وأني الآن كطفل في السابعة من عمره، يعيش في خياله فقط.

قرر وكيل النيابة إخلاء سبيلي مع مراقبة الشرطة لي باستمرار، تم ترحيلي لقسم الشرطة الذي أتَّبعه، حيث عنواني المدون في جواز سفري.

هناك قال لي الضابط المختص: الآن ستذهب لمنزلك، لابد أن تأتي هنا باستمرار، أنا أيضا سأضعك تحت مراقبتي، وهذا رقمي لو أردت أن

تعترف بشيء أو قام أحد أفراد العصابة بالاتصال بك لابد أن تهاتفني فورًا.

أومأت له برأسي ثم خرجت، لم يعد لدي رغبة في الكلام.

أنا الآن أكره البشر جميعًا، ماذا حدث لي؟ هل أستحق كل هذا؟ هل ما أنا به الآن بسبب أنانيتي؟ أم بسبب حبي لأمل التي لا أعرف من تكون؟ أم أنه جزائي لأني قررت التفوق والتميز.

(٢٥)

فقدت أغلى شيء

خرجت من بوابة القسم.

وجدت سالي أختي في انتظاري كانت تلبس معطفًا أسود وبنطلون أسود، لم أركز في ألوان ملابسها، رغم أن قدماي تحملني بصعوبة إلا أني جريت وأخذتها في حضني وبكيت كثيرًا، ولم أفعل ذلك من قبل، مرت دقائق كثيرة كنت أبكي كالأطفال، نظرت سالي لحالي وما حدث لي فبكت هي الأخرى.

ثم قالت: تعالى سنتغدى معًا يوجد مطعم جيد بالقرب من هنا، قلت لها أريد أن أرى أمي، قالت: لاحقًا، تعالى سنجرب سيارتي الجديدة، هي صغيرة الحجم لكنها جيدة.

جلست بجوارها وذهبنا للغذاء، ثم قالت لي: دعني أختار لك ملابس جديدة، ولا تقلق مرتبي الآن يكفي، لقد عملت في شركة للأدوية، وقالت ضاحكة: وأنا الآن من أصحاب الأموال.

ابتسمت لها وذهبت معها، حقًا كانت ملابسي متسخة وغاية في السوء، طيلة الطريق لم أكن أرغب في الحديث أبدًا.

ذهبنا للمنزل ودخلت ملهوف للقاء أمي ويالها من صدمة! سرير أمي فارغًا وأيضًا هي ليست على سجادة الصلاة، ماذا حدث ياسالي؟ قلتها باكيًا، ردت وهي تبكي: أمك في ذمة الله يا أحمد، البقاء لله.

صرخت بأعلى صوتي: أمي، أأأمي، آآآآه يا أمي، ظللت أبكي بصوت مرتفع، كانت سالي تتوسل إلي أن أهدأ، لم أحس بنفسي حتى فقدت الوعي.

عندما فتحت عيناي مرة أخرى وجدتني مستلقي على سريري و في يدي "كانيولا" ومعلق بها محاليل (كعادة الطب لدى المصريين) كانت سالي تجلس على كرسي بجواري وهي شبه نائمة.

حاولت القيام لكن من فرط التعب لم أستطع، أحسَّت سالي بحركتي فقامت على الفور قائلة: أأنت بخير؟ قلت لها أريد أن أذهب لغرفة أمي.

قالت: حسنًا، انتظر فقط سأنزع هذه الكانيولا، ذهبت لسرير أمي وجلست عليه، كان وقت أذان الفجر، لم أتمالك نفسي من البكاء عندما تذكرت أمي وهي توقظني لصلاة الفجر، وأنا لا أجيبها، بكيت كثيرًا.

قلت لسالي: سأنزل للصلاة في المسجد، قالت: صلي الآن هنا وغدًا اذهب للمسجد، أنت مازلت متعبًا، أشارت إلي أن أصلى على سجادة أمي فبكيت أكثر.

بعد الانتهاء من الصلاة قلت لها: ماذا حدث ومتى كان ذلك؟ قالت لي: بعد سفرك انتظرنا أن تتصل لنطمئن عليك فلم يحدث، في البداية ظننا أنك مشغول، مرَّت أيام وأسابيع، اضطررنا لإبلاغ الخارجية المصرية، الذين اتصلوا بالسفارة المصرية هناك، قاموا بالبحث عنك ولم يجدوا سوى حقائبك بداخل غرفتك السكنية هناك.

كانت صدمة لنا جميعًا، مع طول الانتظار تعبت أمك جدًا، وكانت حالتها تزداد سوءًا، والسفارة هناك لا يوجد لديها تفسير، تارة تقول ربما انتحر في مكان مجهول، وتارة يقولون ربما تم اختطافه.

حتى قررت تدشين حملة على مواقع التواصل الاجتماعي تحت عنوان اختفاء باحث مصري في ظروف غامضة، تطالب بالكشف عن مصيرك.

كنت أفعل كل هذا حتى تحس أمي بالأمل، لكن الموت كان أسرع مني، توقف قلبها عن العمل من فرط حزنها، كل ماكانت تحتاجه هي أن تأخذك في حضنها.

وضعت يدي على رأسي وقلت آآآآه يا أمي، لم أكن أعلم أنه أصعب ألم في الدنيا هو فقدان الأم، آآآه ياحبيبتي كم كنت مخطئ في حقك! كم كنت أنانيًا! أنا السبب، أنا من فعلت بكِ كل هذا.

ربتت سالي على كتفي وقالت: اهدأ يا أخي لكل أجلٍ كتاب، هذا عمرها وقد انتهى.

قلت لها: وهل تعيشين بمفردك ومن يتولى شئونك؟ ضحكت وقالت: لا تقلق، أنا بمئة رجل، أنا مثل الحديد، ضحكت وقالت: أنا شامخة كالجبال، كانت هذه مجرد كلمات من فتاة أتعبها الدهر، تحمل هموم أضعاف عمرها.

ثم قالت وهي مبتسمة: أمس استدعاني ضابط القسم وقال لي ساخرًا، أخوك الباحث المختفي ظهر مع عصابة خطيرة في روسيا لكن لحسن حظه أنه مجنون، غدًا سيخرج، وكفى ادَّعاءات بالباطل على الدولة وأجهزتها.

لم أصدق الضابط إلا عندما رأيتك، ما الذي حدث يا أخي؟

نظرت إلى سالي، لم تكن تلك الصغيرة التي تركتها منذ شهور، التي كنت أرفض التحدث إليها لأنها تصغرني بعشر سنوات، لقد رأيت فيها أمي وحضنها الدافئ، قلت في نفسي: لقد ظلمتك وظلمت أمي كثيرًا ياسالي.

كررت سؤالها ماذا حدث يا أحمد:

قصصت عليها ما حدث لي وسط ذهول منها، ثم قلت لها: قالوا عني مجنون وآخرون قالوا أني مجرم خطير، لكن مصرون أني أتعاطى المخدرات.

قالت هي ولكنك لست كذلك، أنت عالم موهوب لكنك سيء الحظ، رغم أن ما تحكيه هو الخيال بعينه، لكن سامحني يا أخي شكل عينيك يوحي أنك كنت تحت تأثير مخدر، حتمًا أنا أصدقك.

قلت لها تصوري أنهم ينكرون وجود شخص اسمه أمل، قالت كيف؟ فنحن نعرفها، قلت لها: اصمتي، قلت كذلك وتم كهربتي.

قالت: يبدو أن الأمر فيه شيئًا ما غير مفهوم، وهو سبب كل ما تعانيه يا أخي.

(٢٦)

بداية العلاج

لم تكن صدمتي بوفاة أمي بالأمر الهين، إنها أكبر صدمة تعرضت لها، رغم ما لاقيته من أهوال، في السابق كنت أظن أن أصعب شيء مرَّ عليّ كان وفاة أمل، لكن صدمتي في رحيل أمي، جعلني تأكدت أن أمل لاشيء بجوار أمي، آه يا أمي، رغم الألم الذي تعرضت له طيلة الأيام الماضية، إلا أن مرارة رحيلك لا مثيل لها، آه يا أمي لقد خسر ولدك كل شيء، خسر أمه ودراسته ووقاره، وصار مجنونًا مدمنًا للمخدرات، الآن أنا أتمنى أن أكون ميتًا حتى أستطيع أن أراك وأمكث تحت قدميك.

رغم أنني حقًا أردت الموت لأني سئمت من هذا العالم، إلا أنني لا أدرى إن مِت أين سأذهب؟!

لذلك وبعد كل ما خسرت كان لازما أن أفهم ما حدث وأن أثبت براءتي إني لست مجرما ولا مدمنًا للمخدرات، لعل صدمة فقداني لأمي جعلتني أنسى بعض الشيء ماحدث لي الفترة الماضية، لكنها زادتني إصرارًا أن أعلم ماذا حدث لي؟

في الصباح استجمعت قواي ونزلت إلى الشارع أتفقد ما فيه، وأشتم رائحة بلدي، أذان الظهر فذهبت للمسجد، وبحثت عن عالم الدين الذي قابلته، وقصصت عليه ماحدث، قال: يابني إن ماتقوله لايصدقه عقل، أنا أعرفك وأعرف أخلاقك، لكن سامحني هذا كلام مجانين، قلت له: ياشيخ أنت قلت لي اذهب معها وتعالى فاحكي لي.

قال: كنت أمزح لأنه من المستحيل أن يحدث ذلك، قلت له: وقد حدث، قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

قلت له: دعك من هذا لقد شككوني في ديني وفي الحساب.

أنا من يومها لم أصلِ ولم أصُم رمضان حتى، قال: أستغفر الله، اسمع يابُني، اعتبر وكأنك كنت من الأموات أو ذهب عقلك، أنت الآن تعي ما تقول، أدرك مافاتك من الصيام واستغفر الله كثيرًا واسأله الهداية والمغفرة.

عدت إلى المنزل كنت متعبًا جدًا، الصداع لا يفارقني، ومن فرط التعب فقدت السيطرة على نفسي، ولم تعد للمسكنات أي جدوى.

جاءت سالي من عملها، قالت: اعذرني تأخرت عليك، سأجهز الغداء لنأكل سريعًا، قلت لها قبل الغداء: أريدك أن تساعديني.

قالت فرحة: إنها هذه الكلمة تمنيت سماعها منك منذ زمن طويل، قلت لها يبدو أن جسمي مليء حقًا بنسب عالية من المخدرات، هذه هي الحقيقة، لا أعرف كيف حدث ذلك لكنه أمر واقع لابد من التعامل على أساسه، ولابد لي من علاج.

قبل أن تتكلم قلت لها: لقد قررت علاج نفسي، لن أذهب لأي من الأطباء ولن أكون نزيل لمصحات نفسية، أريد منك فقط ومن واقع دارستك أن تأتى لي بأعشاب تساعدني على ذلك، وأنا بدوري سأتحمل، ثم كررت كلمتي أعشاب، أعشاب فقط ولا أي مواد كيميائية.

قالت: ياحبيبي ستظهر أعراض انسحابية، ستتعب أكثر مما أنت عليه، قلت: وليكن سأتحمل وسأصوم أيضًا لأقضي ما أفطرته في رمضان، أنا في معركة وسأربحها حتمًا.

قالت: طلبك مجاب، لكن انتظر حتى أسأل متخصصين في هذا المجال.

بدأت العلاج، كان صعبًا للغاية، في أول الأيام كدت أستسلم، لم أكن أعلم أن العلاج بهذه الصعوبة، لكن صممت على البقاء حتى أحل اللغز الذي أنا فيه.

كان وقتي بين المنزل والمسجد، قضيت الشهر في الصيام، وانتظمت في الصلوات، والعلاج رغم أنه بطيء المفعول إلا أني بدأت أحس بالتحسن بعض الشيء.

قررت الخروج ومقابلة الناس جميعهم، لكي لا أكون أسير الوحدة مجددًا، بحثت عن بعض أصدقائي من الجيران وصرت أتواصل معهم،

بالطبع مراقبة الشرطة لي لم تنتهِ، وكذلك استدعائي لقسم الشرطة بين الحين والآخر، لكن الأمر لم يكن يشغلني.

أصبحت أفيق تدريجيًا وكأني أسترد وعيي.

وفي أحد الأيام قررت أن أستثمر ماحدث لي، أمسكت ورقة وقلم وتذكرت الأبحاث التي أجريتها بالعالم الآخر، وتذكرت التجارب، بحثت على الإنترنت عليها ووجدت أبحاث قريبة منها، حسنًا الأمر ليس خيال، لكن أبحاثي متطورة أكثر منها، إذن أبحاثي صحيحة، الأمر إذن فيه لغز كبير جدًا، أنا لست مجنونًا.

رغم أني حاولت شغل نفسي بقدر المستطاع، لم يتوقف عقلي عن التفكير فيما حدث معي، من تكون أمل هذه؟ من دفعني للإدمان؟ كلها ألغاز ولابد لي من حلها.

توطدت علاقتي جدًا بأختي سالي، في السابق كنت بالنسبة لها أنا والعدم سواء، الآن أنا أخ كبير لها، سند كما تقول، كنَّا نخرج كثيرًا، نستشير بعضنا في كل شيء، هذه حياة ممتعة كنت أغفل عنها، ليتني عشتها من قبل، ليت أمي معنا.

ذهبت إلى قبر أمي وناديتها:

لم أتذوق طعم هذه الحياة إلا بعد رحيلك يا أمي، لم تكن السعادة الحقيقة مع أمل، بل بين أحضانك، لقد كانت أمل هي الوهم بعينه، سراب أضعت نفسي بالمشي خلفه، الأمل الحقيقي كان في إيماني بالله

ومحاولة إسعادك أنتِ وأختي، ادعي لي وأنتِ في قبرك أن أعرف الحقيقة، أريد أن أثبت براءتي فلا أنا مجرم ولا مجنون.

استمريت على البرنامج الذي أعددته لنفسي، وتماثلت للشفاء بنسبة كبيرة، كان ذلك بفضل وقوف سالي بجواري، والأصدقاء الطيبين حولي، الذين لم يتركوني قط.

(٢٧)

كشف خيوط المؤامرة

عدت يومًا من المسجد بعد صلاة العشاء، فوجدت سالي مضطربة جدًا، تفرك يدها في الأخرى تريد أن تقول شيئًا إلا أنها صامتة، داعبتها قائلًا: هل لديك قصة حب وتخجلين مني؟ ابتسمت وقالت: لو كان يوجد لكنت أنت أول من يعلم، أنت حبي الوحيد يا أحمد.

دخلت غرفتي أتصفح الإنترنت وأدون ما يستجد من أبحاث في مجال الطاقة، دخلت عليَّ سالي وقالت: أحمد أريد أن أخبرك شيئًا وأرجو أن تحسن فهمي.

قلت لها: دون مقدمات تحدثي سريعًا، قالت: سأحكي لك القصة من البداية، بعد تخرجك ورفض تعيينك من الكلية أصابك اليأس، ثم استعدت عافيتك عندما عملت في الشركة الأولى وعندما تم فصلك،

تعبت كثيرًا ثم تكرر الأمر في الشركة الثانية حتى زرت الطبيب النفسي وأعطاك بعض المهدئات.

قلت لها: نعم أتذكر كل هذا، قالت: لا تقاطعني ودعني أكمل، قلت لها: تفضلي، قالت: بعدها تعرفت أنت على أمل، رغم أن أمي كانت غير مرتاحة لها إلا أننا رحبنا بوجودها؛ لأن حالتك النفسية كانت سيئة جدًا، وهي الوحيدة التي استطاعت أن تخرجك من ذلك وتعطيك أمل في الحياة.

لكن في اليوم الذي جئت وأخبرتنا أنها توفت في حادث تبدل حالك تمامًا، وعدت لحالة الاكتئاب التي كنت عليها، وكدت أن تهلك من فرط حزنك.

وقتها جاءت لنا طبيبة قالت إنها تعرفك وتعرف أمل، وأنها تريد مساعدتك، وافقنا نظرًا لسوء حالتك، أعطتنا أدوية نضعها لك في الطعام والشراب، وأيضًا كانت تأتي قبل قدومك وتنتظر في غرفتك وتطلب منَّا عدم الدخول، وتقول إنها جلسات علاج بشكل جديد،

ها أتذكر ذلك اليوم الذي كنت تصرخ فيه أمل أمل وجئت مع أمي _رحمها الله_ مهرولين. قلت لها: نعم أتذكر.

قالت وقتها كانت معك في الغرفة، وبعدما نمت قالت إنه حدث لك مضاعفات وتشجنات في أثناء جلسة العلاج، لذلك كنت تنادي باسم أمل وهي ميتة، ثم تابعت سالي قائلة:

نحن صدقناها بعد ما رأينا حالتك تتحسن وعدت لممارسة حياتك وقررت السفر، أنت لم تكن تحكي لنا شيئًا يا أخي، حتى أمر عودة أمل من الموت كما تقول، لم نعرف به ولم تقوله إلا عندما عدت من سفرك منذ قرابة الشهرين.

قلت لها: طبيبة وتعرفني؟ من هذه؟ أنا لم أرَ ماتذكرينه مطلقا! ما اسمها؟ قالت: شهد، قلت: شهد! لا أعرف أحدًا بهذا الاسم، قلت لها: ماشكلها؟ وكانت المفاجئة: إنها تصف لي شكل حلا وكذلك طريقة كلامها.

الآن الأمور ازدادت صعوبة، قالوا لي في التحقيق لا يوجد أحد اسمه أمل، رغم أن أختي أقرَّت بوجودها، كذلك أختي رأت حلا التي هي في العالم الآخر فقط، لكن اسمها شهد!

هل جُنت أختي هي الأخرى أم ماذا يحدث؟

ثم فاجئتني سالي قائلة: لقد جاءتني هند اليوم وقالت إنها علمت بقدومك وإنها ستأتي لعلاجك مجددًا، لأنك مريض بانفصام الشخصية وأنك تعيش حياتين مختلفتين.

الحقيقة كنت سأصدقها خصوصا بعد القصص التي ذكرتها لي، لكن لا أعلم لماذا أحسست أنه يجب علي أن أخبرك أيضًا؟ قد أعطتني دواء طلبت مني وضعه لك في الماء، وشيء يشبه المعطر طلبت مني رشه، وقالت إنها ستأتي منتصف الليل.

قلت في نفسي لقد تعبت كثيرًا لأجل الوصول للمعرفة، الآن حانت الفرصة لمعرفة الحقيقة، كذلك سأحاول كما حاولت سابقًا وهربت من العالم الآخر.

لم أفكر كثيرًا وقلت لها: نفذي ما قالت، قالت نعم أنفذ!

قلت لها: عندما تأتي أخبريها أنك نفذتي، أما الآن فأنا سأدخل غرفتي لابد أن أجهز نفسي، قالت سالي خائفة: تجهز ماذا؟ قلت لها: ثقي في أخيكِ، لكن ابق بجوار الباب ولا تدخلي إلا عندما أطلب منك ذلك.

دق الباب، سمعت صوتها، اصطنعت النوم، دخلت شهد أو "حلا" غرفتي، دقائق وجدت من يتحسس جسمي ويربت عليه.

فتحت عيني كأني استيقظت وجدت حلا تبتسم لي وتقول: كيف حالك يا أحمد، لقد علمت بهروبك من العالم الآخر، لكن هذه الدنيا ليست لنا، نحن أموات، قمت من مكاني مترنحًا أو اصطنعت هذا، قالت: علمت بكل ماحدث، فقد هربت قبلك.

ثم استطردت قائلة: هل علمت الآن من كانت تحبك أكثر أنا أم أمل؟ ألم أقل لك أننا لابد أن نهرب من هناك؟ لقد وجدت مكان أفضل يمكننا العيش فيه معًا هيا نذهب.

قلت لها: حلا، لقد وحشتيني كثيرًا تعالِ إلى حضني، حاولت أن أمشي لكن تعثرت قدماي، كنت متعمدًا، جاءتني وهي تهرول.

طرحتها أرضًا ثم سقطت عليها، ووضعت يدي على فمها وناديت بأعلى صوتي سالي سالي، جاءت سالي مسرعة، قلت لها: من هذه؟

قالت: هذه الطبيبة شهد، قلت: يعني أن ما أراه صحيحًا، ليس خيال يا سالي، قالت: لا، حقيقة يا أخي.

قلت لها: افتحي نور الغرفة واغلقي هذه النافذة، وانتظريني بالخارج، فعلت سالي ماطلبت وانصرفت.

قلت مخاطبًا شهد أو "حلا": لقد وقعتي في كمين أعددته لكِ.

كان في يدي شريط لاصق كبير، أحكمت قيدها ثم أمسكت سكين وقلت لها سأذبحك ولن يعاقبني القانون أنا مجنون، إما أن تعترفي من ورائك وإما أن أقتلك.

قالت: يامجنون أنا الطبيبة التي أعالجك وهذا جزء من علاجك، قلت لها: يعني أنا لم أذهب معك لعالم آخر؟

قالت: لا، هل يوجد أحد يذهب للعالم الآخر ثم يعود، قلت: ألم تحدث بيننا علاقة خاصة؟ قالت: لا لم يحدث قط.

قلت لها: إذن هو علاج؟ قالت: نعم.

نزعت عنها بعض ملابسها وقلت لها: وهل هذه الشامة التي على كتفك كانت من ضمن العلاج، صُدمت من تركيزي، وأنا أتذكر جيدًا تفاصيل جسدها، ثم قالت ماذا تريد؟

قلت لها أنا مت بسببكم مرات عديدة، أمي ماتت من قهرها، تم التلاعب بي منكم جميعًا، أصحبت مدمنًا للمخدرات، وهنا تم تعذيبي والتشهير بي، إن لم تقولي الحقيقة لن أرحمك.

قالت ولو قلتها سُنقتل أنا وأنت ياغبي، قلت لها إذن تموتي الآن.

وضعت السكين على رقبتها وهممت حقًا في ذبحها، قالت: سأتكلم سأتكلم، لكن اعلم أنك ستؤدي لهلاك نفسك ومن حولك، لن يتركوك أبدًا.

قلت لها: تكلمي حالًا، قالت: سأحكي لك القصة وتحمل أنت المسئولية.

نحن نعمل في شركة كبيرة لتطوير الأسلحة والأبحاث الخاصة، ومن ثم نبيعها للمنظمات والحكومات، هذه الشركه لها عملاء وأعوان في كل مكان في العالم وأحد مقراتها في روسيا، المكان الذي كنت أنت فيه والمقر السري نسميه "العالم الآخر".

هو فعلاً عالم آخر في سريته، وقواعده، من يدخله لا يخرج منه أبدًا.

جاء تقرير للشركة بوجود شاب متميز وعبقري اسمه أحمد عمران طالب بكلية العلوم، تأكدنا أننا في حاجة لشخص مثلك، تمت مراقبتك جيدًا، تعمدنا عدم تعيينك بالكلية، حتى تكون فريسة سهلة، وكذلك الأمر في الشركات التي عملت بها، تم فصلك ووصفك بالجنون كل هذا كان من ترتيبنا.

كان هذا حتى تصاب باليأس، وهنا ظهرت "كريستين" أو من تسميها أمل، إحدى موظفي الشركة، عميلة B بالشرق الأوسط تجيد اللهجة المصرية كأنها ولدت بمصر، دخلت حياتك بترتيب معين حتى صارت كل شيء في حياتك.

لقد وضعنا برنامج نفسي خاص بك، من واقع دراستنا لشخصيتك، يجعلك تؤمن أنك فاشل في هذا البلد، ولن يتقبلك أحد ولابد لك من الهجرة، في نفس الوقت كانت صديقتك الوحيدة وملاذك الدائم هي كريستين"أمل" فقط.

ثم جاء الوقت للانتقال للجزء الثاني من الخطة تم الترتيب لشائعة موت أمل.

رددت بصدمة: نعم وهل أمل لم تمت؟ قالت: هل حضرت لها جنازة أو رأيتها تدخل قبرًا؟ قلت لها: لا، قالت: اعتمدنا على حبك لها وأنك لن تستطيع أن تعيش مثل هذه الأجواء.

وساءت حالتك النفسية جدًا، هنا تدخلت أنا هنا وتعرفت على والدتك وأختك، زاعمة أني من أصدقائك وأريد مساعدتك ثم أعطيتهم أدوية خاصة من صنع شركتنا، "أدوية مخدرة" تجعلك تتقبل فكرة عودة أمل للحياة وتستسلم لما يحدث حولك، ساعد في ذلك حالة اليأس والإحباط التي أوصلناك لها، فشلك المتعمد من جهة، وفقدان "أمل" التي كانت لك كل شيء، وقد كان ما أردناه.

وبالطبع عندما دخلت غرفتك زرعت الكاميرات في كل مكان حتى نتمكن من رؤيتك طيلة الوقت.

بخبرتي في دراسة الطب النفسي وبتحليلي لشخصيتك، أنت كنت على أتم استعداد لقبول فكرة عودة أمل للحياة، وبالطبع قبول فكرة انتقالك

للعالم الآخر، للعلم عندما كنت ترى أمل في الشارع كانت هي فعلًا، كان جزء من الخطة، حتى تستجيب سريعًا لبرنامجنا.

وعندما ظهرت لك أنا وحذرتك منها وتشاجرنا أمامك أنا وهي، كان اختبارًا لحبك لأمل واستعدادك للرحيل معها، قلت لها: إذن وكيف زرت هذا العالم الآخر وأنا هنا؟ قالت: أنت لم تغادر غرفتك، لم تكن إلا تقنية متعددة الأبعاد أيها العالم، أنت تعلم أن لدينا أدوات غاية في التقدم، لعلك رأيت ذلك بنفسك، بعدها أعطيناك مخدر ثم نمت.

كانت هذه الخطوة مهمة لكي تتعرف على هذا العالم قبل مجيئك إليه، ولكي نرى قابليتك للعيش فيه وكذلك حتى تتعرف عليّ.

قلت لها: وكيف كانت تدخل أمل؟ قالت: المنزل المجاور لكم، قلت: المهجور؟ قالت نحن اشتريناه، وكانت به غرفة عملياتنا الخاصة بك.

قلت: وإن كنت رفضت الذهاب مع أمل للعالم الآخر، قالت: كنت ستقتل كما قتل قبلك كثيرين.

قلت لها أكملي

قالت: ثم سافرت لروسيا، وجاءتك أمل مجددًا، وتم تخديرك وأخذك لمقر الشركة، حيث الكثيرين مثلك، هو فعلًا عالم آخر بخصوصيته ودقته وأبديته.

هناك غاز منتشر في المكان له رائحة معينة، كذلك الطعام والماء بهم مخدر معين يجعلك تتقبل فكرة وجودك بعالم آخر، وأيضًا لا يعطلك عن البحث والإبداع فهو يوجد به منشطات للعقل.

كنا نرتب لك كل الأمور مهما كانت بساطتها وأنت تحت تأثير مخدر منوم حتى حلاقة شعرك، ليس شعرك فحسب بل كل أمورك، كل شيء كان كفيلًا أن يوهمك أنك حقًا في عالم آخر.

وبالطبع جميع المقيمين في هذا المكان مراقبين بطريقة جيدة ودقيقة حتى وهم في الخلاء.

كانت أمل هي المكلفة بك، وأنا كنت احيتاطيًا، فعندما لجئت إلي لتفضفض معي تم السماح لي بمرافقتك حتى تقول لي ماعندك وكنت أكتب تقريرًا عنك فور مغادرتي.

أيضًا تم السماح لي بإقامة علاقة خاصة معك، وعندما أصبحت لا تحكي لي شيئًا انتهت مهمتي، قامت أمل باحتوائك لتعويضك عني.

جئت إليك مجددًا طالبة الهروب عندما شككنا أنك رأيت شيئًا في أثناء مقاومة الهجوم، لنرى ماعندك، لكنك كنت أكثر ذكاء منَّا ونجحت في هذا الاختبار.

لم يستطع أحد الفرار من هذا النظام المعقد غيرك يا عبقري، لقد كان الجميع يسيرون على الخطة المرسومة لهم إلا أنت.

اضطررتنا لتغيير خطتنا معك مرارًا، لذلك تمسكنا بك أكثر، أنت تمتلك ذكاء غير عادي.

لكن بعدما هربت انقلبت الدنيا هناك رأسًا على عقب بحثًا عنك، حتى علمنا بوجودك هنا، فجئت لأعيد تمثيل القصة عليك حتى تعود معي، لأنك لو لم تفعل سيقتلونك وسأُقتل معك.

قلت لها: ولماذا كل هذا؟ قالت: أنت لا تعلم قيمة نفسك، هناك قمت بأبحاث تم بيعها بملايين الدولارات، تخيل أنك ومن مثلك تعملون بلا مقابل ويتم بيع أبحاثكم بالملايين وأحيانًا المليارات.

قلت لها ولماذا كل هذا في الخفاء؟ قالت: بالطبع أنشطتنا غير مشروعة، قلت لها: ولم تتمكن الدولة من القبض عليكم حتى الآن؟

قالت: لدينا أعوان في كل مكان، والشرطة تهاجم مصنع أسمدة تعتقد أن به مهربي مخدرات، ولكن لاتعلم أن بالداخل نفق يؤدي لبناء ضخم تحت الأرض، هو كما عرفت العالم الآخر.

عندما تأتي الشرطة تغلق البوابة الكبيرة التي تفصل المصنع عن النفق، ولو دخلت الشرطة لن تعثر على هذا العالم، حتى لو تمكنت من اختراق هذا العالم، رغم أن ذلك مستحيل لن تجدنا لأننا أوقات المواجهات نكون في أنفاق أخرى غاية في التعقيد.

قلت مبتسمًا: بالمناسبة لدي سؤال آخر لماذا لم يكن أحد يرد علي عندما أتحدث إليه؟ قالت: أولًا: لأن لدى الجميع تعليمات بذلك حتى لايصل أحد للحقيقة.

ثانيًا: الجميع لايعرفون اللغة العربية، قلت لها: وهل هرب أحد من قبل؟ قالت لم ينجُ منهم أحد.

ناديت بأعلى صوتي سالي سالي، دخلت سالي مسرعة فقد كانت بجوار باب غرفتي، قلت لها: هذا رقم ضابط الشرطة اتصلي به على الفور.

صرخت قائلة: لاتكن غبي، سيقتلونك حتمًا، تعال نعود للشركة وستصبح عضوًا بها ولك مركز ثقيل، كتمت فمها بيدي حتى تأتي الشرطة.

(٢٨)

رد اعتبار

خلال دقائق كانت الضابط رفقة قوة من الشرطة داخل منزلنا، قلت له بصوتٍ عالٍ: هذه هي المجرمة، هذه عميلة، هذه هي سبب كل شيء، هي تعرف أمل وتعرف العالم الآخر، هذه مندوبة العصابة، هذه من يستحق القتل ياسيادة الضابط.

كنت أتحدث بصوتٍ عالٍ، كنت مضطربًا للغاية، شخص على وشك الانهيار تم التلاعب به لشهور، بل سنين، شخص كاد أن يُجن مرات عديدة.

انصت الضابط لي ثم نظر إليها.

قالت: أيها الضابط هذا هراء هذا مجنون، أنا كنت أعالجه وفعل بي هكذا، أعطت الضابط بطاقتها وقالت: هذه هويتي لتتأكد من شخصيتي، قلت له: لاتصدقها أيها الضابط.

في البداية كانت روايتها للضابط هي المُصدقة، فأنا في نظرهم شخص مجنون مدمنًا للمخدرات.

حتى فاجئتها هي والجميع وأعطيت الضابط تسجيل لاعترافها لي، وأعطيت له الدواء الذي كان مع أختي، الذي طلبت منها أن تعطيني إياه.

أحمد عمران خُدع كثيرًا لكن جاء وقت رد اعتباره، وإثبات براءته وكل هذا يعتمد على ذكائه، لن يثبت براءتي إلا أنا.

كنت أود أن أقطع جسدها بأسناني، وأطحن عظامها، لكن أنقذتها مني الشرطة.

بعدها تم عرضها على الجهات المختصة وتم تسجيل اعترافها وكذلك تم تحليل الدواء وأثبت الطب الشرعي أن هذا العقار غير المعروف، ومطابق لتحاليل الدم الخاصة بي التي جاءت من روسيا، أي أنه نفس العقار الذي كنت أتعاطاه.

الآن تم تصديق روايتي من الجميع، أصبحت حديث الصحف والقنوات، قامت الشرطة باستبدال المراقبة بحراسة مستمرة، أرسلت كلية العلوم في طلبي للعمل بها مدرسًا فاعتذرت، قابلت مسئول بالدولة وقلت له: أن لدي أبحاث كثيرة ستنفع البلد، فقرر تعييني في مكان هام كي أتمكن من تنفيذ أبحاثي.

لقد انتهى الكابوس، الآن لست جاهلًا بما يحدث حولي، لو لم يحدث كل هذا معي، لما صرت عبقريًا، لم أكن لأصل لهذه الأبحاث في مختبرات كلية العلوم، حصلت على وظيفة مرموقة، وناقشت رسالة الدكتوراه سريعًا.

حقا رُب ضارة نافعة، لكني فقدت أمي، رغم أني كسبت صداقة أختي، الذي جاء لخطبتها كثيرين، وافقت مؤخرًا على أحدهم.

(٢٩)

هند

قررت الدولة تكريمي وصار لي عملًا بمكان يليق بخبرتي العلمية وبتفوقي الذي طالما اعتدت عليه، الآن لست أحمد عمران الفاشل، فلقد خبأ لي القدر مفاجآت عديدة، وجوائز كثيرة، لم أحصل عليها سوى بالتعب والألم.

كانت من هذه المفاجآت "هند" فتاة مصرية، طالبة بكلية العلوم، تعرفت عليها في إحدى الندوات التي نظمتها كليتها وحضرت فيها كضيف، جذبني إليها كل شيء، وجهها المصري الأصيل، الذي ترى فيه جمال النيل، حجابها المنسق وكذلك روحها العذبة التي تشبه أرض مصر الطيبة.

كانت تدرس بقسم الرياضيات، ورغم أنها بعيدة عن تخصصي إلا أنني كنت ألاحظ دومًا أنها تحضر أغلب الندوات التي أكون موجودًا بها، لا أدري إذا كان حبًا في الندوات أم فيمن يتحدث.

لم يمر وقت طويل حتى صارت زوجة لأحمد عمران، أكثر ما كان يميزها أنها تأقلمت وبسرعة مع طباعي الغريبة نوعًا ما، وصارت لي عوضًا عن أشياء كثيرة.

رفضت العمل بعد تخرجها، رغم أنها قررت استكمال دراستها بتخصص برمجة الحاسب ولغاته،

لكن عن العمل قالت: عملي الآن هو إدارة شئون أحمد عمران.

عندما أخبرتني أنها حامل في طفلة سعدت كثيرًا، لأني كنت أرغب في تسمية مولودتي باسم أمي "فاطمة الزهراء"، لكن هند كان لها اقتراح أن أسميها بأكثر صفة لابد أن أتحلى بها، وهي اللين لذلك سميت ابنتي "لين".

الآن حياتي أكثر هدوءًا، وابتعدت عن التوتر والقلق، وتغير حالي للأفضل على الأصعدة كافة، لكن دوام الحال من المحال.

(٣٠)

بعد مرور خمس سنوات

عدت من عملي مرهقًا، نمت قليلًا، يد صغيرة تربت علي، قائلة: أبي أبي استيقظ.

قلت لها: ماذا بكِ ياغاليتي؟

قالت: سيدة بالخارج تريدك.

قلت مازحًا: وهل تركتها أمك؟

ذهبت للباب حيث تقف السيدة، وجدتها أمل! نعم أمل وتأتيني من الباب، قلت متعجبًا: ماذا تريدين مني!

انتظروا عودة أمل.

أحمد بهاء الدين